سلسلة إصدارات مؤسسة ديوان المسلم ١٦

تدبر سورة الكهف



ناصر بن سليمان العمر

رئيس الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم
والمشرف العام على مؤسسة ديوان المسلم

الطبعة الثانية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العمر، ناصر بن سليمان
تدبر سورة الكهف/ ناصر بن سليمان العمر - الرياض، ١٤٣٥هـ
١٥٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤سم
ردمك: ٦-٣٨١٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١- القرآن - سورة الكهف - تفسير
أ- العنوان
ديوي: ٢٢٤,٦ ١٤٣٥/٢٩٠

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٢٩٠
ردمك: ٦-٣٨١٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨

مؤسسة ديوان المسلم
ص.ب ٩٣٤٠٤ الرياض ١١٦٨٤
هاتف: ٠١١٢٥٤٩٩٩٣ - فاكس: ٠١١٢٥٤٩٩٩٦

الطبعة الثانية
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م
البريد الإلكتروني: nn@almoslim.net

بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان... وبعد:

فقد أكرمني ربي بأن أعيش مع سورة الكهف عدة سنوات متدبراً لها، مفسراً لآياتها، واقفاً مع دلالاتها؛ إذ مكثتُ في ذلك ثلاث سنوات ألقي درساً أسبوعياً (**عدا أوقات الإجازات**)، وكذلك ألقيتها باختصار في العشر الأواخر من رمضان في إحدى السنوات، وسجلت فيها ثلاثين حلقة ضمن برنامج (ليدبروا آياته) الرمضاني حيث تم بثها في رمضان عام (١٤٣٢هـ)، بعد ذلك كله تم إخراج هذه الثروة العلمية في كتاب (إشراقات سورة الكهف) في مطلع هذا العام (١٤٣٤هـ)، وبعد أن خرج الكتاب في سفر كبير اقترح عليّ أحد الإخوة[١] أن أستخرج الدروس التدبرية في رسالة خاصة يسهل تداولها وقراءتها والإفادة منها، وبخاصة من لدن الشباب لحاجتهم الماسة لهذه الدروس في ظروف صعبة تمر بها الأمة اختلط فيها الحق بالباطل لدى كثير من الناس؛ نظراً لما في هذه الدروس من بيان للمنهج الحق.

---

(١) وهو أخي د/ محمد الربيعة الأستاذ في جامعة القصيم قسم القرآن الكريم.

وقد تم اختيار أحد الإخوة[1] الباحثين من طلاب العلم لهذه المهمة، فوافق مشكوراً.

فقرأ كتاب (إشراقات سورة الكهف) واستخرج هذه الفتوحات التدبرية، ثم راجعتُ ما تم انتقاؤه وأضفت إليه بعض ما سنح لي من دروس ووقفات، وأذنت للإخوة في مؤسسة ديوان المسلم (إدارة الإنتاج والنشر) بإخراجه في رسالة مناسبة ليعم النفع، ويستثمر الجهد.

وبعد: فأشكر كل من ساهم في إخراج الأصل (إشراقات سورة الكهف) أو هذا المختصر (تدبر سورة الكهف)، وأسأل الله أن ينفع بهما كاتبَهما وقارئهما وكل من ساهم في نشرهما.

وآمل مِن كل مَن وجد ملحظاً بدا له، أو إضافة مفيدة أن يكرمني بذلك؛ ليتدارك في الطبعات اللاحقة بإذن الله، وما كان فيهما من علم وخير ونفع فهو من الله وحده، فله الحمد والفضل والشكر والمنة، وما كان من خطأ ونقص فمن نفسي والشيطان وأنا راجع عنه، وأستغفر الله وأتوب إليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتب

ناصر بن سليمان العمر

الرياض ١٠/٧/١٤٣٤

naser@almoslim.net

---

(١) هو الأخ/ يوسف البخيت.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا
لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ
كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ
بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا
لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ
وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟
رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ
ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ

ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ
فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا
شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ
عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ وَإِذِ
ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن
رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت
تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي
فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ
فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ
ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ
لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ
لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ
يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ
إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ

وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ
يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا
عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ
بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا
عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ
كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ
سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا
تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَاْئٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا
نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي
كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُۥ
غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن
وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ

مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ
عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا
وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن
وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن
يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ
مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ
أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا
مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا
عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ
جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾
كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾
وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا
﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾
وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا

مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ
مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾
وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ
مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ
عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا
فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ
فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ
ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً
وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا
كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ

فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا
يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ
رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ
ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ
لَكُمْ عَدُوٌّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ
نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم
مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا
مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ
ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ
قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ

قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن
يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا
كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا
﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا
﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ
أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي
ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ
أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ
مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ
رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ
أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ
أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ

مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا
﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا
حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا
نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ
عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ
أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن
يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ
لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا
وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾
وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً

مِن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا
لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ
ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن
تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ
رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ
وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ
وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا
لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا
قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى
ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى
خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ
بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾
فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ

فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ
فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا
﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾
أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ
نُزُلٗا ﴿١٠٢﴾ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ
يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ
فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ
وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ
ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا
لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠
بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا
صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ .

مقدمات بين يدي السورة

يحسن بنا قبل الشروع في تدبر السورة أن نذكر مقدمات تعين القارئ على التدبر والتفكر، مع ما فيها من فوائد عامة تتعلق بالقرآن.

أولاً- اسمها: ومناسبة تسميتها:

- هذه السورة، اشتهرت بسورة الكهف، وتسمى سورة أهل الكهف، وسورة أصحاب الكهف، ومرجعها جميعاً إلى أول قصة وردت فيها، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ ﴾ [الكهف].
- قصة أصحاب الكهف قصة عجيبة جليلة تدل على كمال قدرة الله ﷻ وإرادته وقيوميته، وقد حوت كثيراً من العبر والدروس التي يحتاجها المؤمنون دائماً فناسب أن تسمى السورة بها.
- جاءت تسمية هذه السورة على لسان النبي ﷺ في غير ما حديث، كقوله في حديث الدجال الذي رواه النواس ابن سمعان ﷺ: "فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف"[١].

ثانياً- لمحة عن الكهوف:

- الكهوف من جملة خلق الله، لم توجد عبثاً، بل خلقها الله بما شاء من الأسباب، لما يشاء من الحكم، وعلينا أن نتفكر فيها؛ وأن ننظر في عجائبها ونلتمس منافعها.

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٠ (٢٩٣٧).

●الكهف: هو الشق المتسع في جبل، فإن لم يكن متسعاً فهو غار، أشار إلى هذا الفرق الليث وغيره من علماء اللغة[1].

●الفرق بين الكهف والغار: من الفروق بين التعريف اللغوي وتعريف علماء الطبيعة:

أن ما يسع إنساناً واحداً أو اثنين ونحوه يسمى غاراً في اللغة ويشهد له قوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، ولا يسمى كهفاً إلَّا إذا كان متسعاً. ومن أدلة ذلك أنه سمي ملجأ الفتية كهفاً وهم أقل من عشرة، بل بدأ الاحتمال بثلاثة.

●من مميزات الكهوف بالمعنى اللغوي أنها مأوٍ آمنة، يلجأ إليها الناس، لوعورة مسالكها وبعدها عن المدن والبنايات في العادة.

●اختلف الناس في تحديد الكهف المذكور في السورة وسبب الاضطراب هو كون الكهوف اتخذت ملاجئ على مدار التاريخ، وكثير ممن لم يحقق ذلك كلما وجد كهفاً فيه آثار حياة سابقة بعدد معين، حمله على قصة أصحاب الكهف، والصحيح أنه لا يعرف مكانه.

ثالثاً- العلاقة بين الكهوف وبين اسم السورة:

●إذا علمنا أن فرار الناس إلى الكهوف خوف اضطهاد ديني وقع في التاريخ مراراً، علمنا أن للكهف تعلقاً أكبر، وبعداً أوسع في

---

(١) ينظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٤/ ١٤٥، والعباب الزاخر للصاغاني ٢/ ١١، والقاموس وغيرها.

علاقته بهذه السورة.

- ذكرت هذه السورة أعظم الفتن التي تجتال البشرية عبر الزمن: الفتنة في الدين، والفتنة في المال والولد، والفتنة في العلم، والفتنة في السلطان.وفي وسط هذه الفتن الإشارة إلى الفتنة الأولى فتنة إبليس للأبوين عليهما السلام.
- قَدَّم الله سبحانه وتعالى لهذه الموضوعات في سورة الكهف وعقب بذكر أسباب الوقاية منها التي فيها العصمة وطرق معالجتها حين التعرض لها.
- سورة الكهف تضع للمؤمن كهوفاً تعصمه من أشد الفتن في حياته، ومن ثم فهي عاصمة من أعظم فتن الدنيا على الإطلاق؛ ومن أعظمها فتنة الدجال. فالذي لم تُفده سورة الكهف نجاةً في حياته من فتن الدنيا، فحري ألا تعصمه من فتنة الدجال!
- المتدبر لهذه السورة،بقدر استفادته منها وتدبره لمعانيها وتحققه بما فيها، تكون صفات كهفه الذي يفزع إليه حال الملمة وأمام الفتن.

رابعاً- وقت نزولها:

- نزلت سورة الكهف في مكة قبل الهجرة، فهي مكية على كل حال[1]، وقد استُثنيت منها بعض الآيات، وما لم يثبت استثناؤه

---

(1) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ١/ ١٩.

فله حكم السورة العام، كما قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله[1].

خامساً- سبب نزولها:

● سبب نزولها أن المشركين بعثوا رجلين منهم إلى أحبار اليهود بالمدينة، يسألونهم رأيهم في دعوة النبي ﷺ، فقال لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح ما هي؟ ثم جاءه جبريل عليه السلام بسورة الكهف، وفيها جوابهم عن الفتية وهم أهل الكهف، وعن الرجل الطواف وهو ذو القرنين[2].

-فائدة عظيمة جليلة:

● سبب النزول هذا دليل من الأدلة المتكاثرة على نبوة محمد ﷺ وصدقه؛ لأنه مبلغ ولا يأتي بشيء من عند نفسه.

سادساً- عدد آياتها:[3]

● قال الشهاب الدمياطي رحمه الله: (آيها مائة وخمس حِرْمِيٌّ، وست

---

(١) أول تفسيره لسورة الكهف؛ قال: (الأصل أن السُّوَر المكيَّة مكيَّةٌ كلها وأن المدنيَّة مدنيَّةٌ كُلُّها، فإذا رأيت استثناءً فلا بد من دليل).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥/ ٢٤٣

(٣) اختلاف العلماء في عدّ الآيات لأجل اختلافهم في بعض الفواصل(والفاصلة: آخر كلمة في الآية وتسمى رأس الآية)، فمنهم من عدّها آية، ومنهم من لم يعدّها، والمسلمون متفقون على إثبات ألفاظ القرآن لا يختلفون في أنه لا يزاد فيها ولا ينقص منها.

شامي، وعشر كوفي، وإحدى عشرة بصري)[1].

- المقصود بقولهم حرمي: أي في عد قراء الحرمين المكي والمدني، وشامي في عد قراء الشام، وكوفي في عد قراء الكوفة، وبصري في عد قراء البصرة.

سابعاً- من مزاياها:

- أنها كلها محكمة، قال ابن سلامة ﷺ: (أجمع أهل العلم أن ليس فيها ناسخ ولا منسوخ)[2].
- أنها إحدى خمس سور افتتحت بالحمد،قال ابن عاشور: (موقع الافتتاح بهذا التحميد كموقع الخطبة يفتتح بها الكلام في الغرض المهم)[3].
- كل السور تضمنت من المعاني الجليلة، والموضوعات المهمة ما ينبغي أن يعتنى به، فتنوعت فواتح السور تنوعاً يلفت أنظار السامعين، بما يناسب موضوعاتها.
- ذُكر أنها نزلت كاملة ومعها سبعون ألفاً من الملائكة[4].
- أنها تشرع قراءتها كل جمعة، مما يدل على عظم ما تضمنته من موضوعات يحسن بالمسلم أن يستحضرها من الجمعة للجمعة فلا تغيب عن ذهنه.

---

(١) اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١/ ٥١١.

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة المقري ١/ ١٩.

(٣) التحرير والتنوير ٨/ ٣٢٥.

(٤) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٤٢، ولم يثبت.

ثامناً- فضائلها:

- أن قراءتها سبب لتنزل السكينة، فعن البراء بن عازب ﷺ قال: "كان رجل[1] يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين[2] فتغشته سحابة، فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له فقال: تلك السكينة تنزلت للقرآن"[3].
- أن قراءتها أو قراءة آيات منها تعصم من فتنة الدجال، فعن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال"[4].
- أن قراءتها تنير لصاحبها، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين"[5].

وضعف كثير من الحفاظ لفظ (الجمعة)، وقالوا إنها تقرأ في أي يوم من أيام الأسبوع، سواء الجمعة أو غيرها في النهار أو الليل.

قلت: ولا يثرب على من قرأها يوم الجمعة لتصحيح بعض المحدثين هذه اللفظة، ولأن الجمعة داخلة في عموم من لم يصححها، والأولى ألا يلتزم بذلك.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في التفسير ٥/ ١٣٣: وهذا الرجل الذي كان يتلوها هو أُسَيْدُ بن الحُضَيْر، كما تقدم في تفسير البقرة.

(٢) تثنية شَطَن، وهو الحبل، ينظر لسان العرب ١٣/ ٢٣٧ مادة (شطن).

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٩١٤ (٤٧٢٤)، صحيح مسلم ١/ ٥٤٧ (٧٩٥).

(٤) صحيح مسلم ١/ ٥٥٥ (٨٠٩).

(٥) المستدرك ٢/ ٣٩٩ (٣٣٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٠).

فوائد متعلقة بفضائل السورة

الفائدة الأولى- في الآيات التي تقرأ على الدجال:

- عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه ك ف ر"(١)
- نظرًا لعظيم فتنة الدجال، ينبغي لكل مسلم أن يعرف الآيات التي تعصم منه بإذن الله.
- ورد أن العصمة تكون بقراءة الآيات من فواتح الكهف دون تحديد لعددها، وورد أنها في الثلاث الأول، وجاء أنها العشر الأواخر، وجاء أنها عشر آيات مطلقًا، وجاء أنها العشر الأوائل.
- الأَولى أن تحفظ السورة كلها، وتقرأ كلها على الدجال إن استطاع؛ فإن تضايق الوقت قرأ العشر من أولها والعشر من آخرها، فإن لم يسعه ذلك فليقرأ العشر الأول.

الفائدة الثانية- الأسباب الداعية لكون السورة عاصمة من الدجال:

- أجمل القرطبي ﷺ هذه الأسباب في المفهم فقال: (... فقيل لما في قصة أصحاب الكهف من العجائب والآيات، فمَن علمها لم يستغرب أمر الدجال، ولم يَهُلْه ذلك، فلا يفتتن به)(٢).

---

(١) صحيح البخاري ٦/ ٢٦٠٨ (٦٧١٢)، صحيح مسلم ٤/ ٢٢٤٨ (٢٩٣٣).
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/ ٧١

- وقيل: لما في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ إلى آخر السورة من المعاني المناسبة لحال الدجال.
- وقيل لقوله تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأۡسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنۡهُ﴾ تمسكاً بتخصيص البأس بالشدة واللدنية، وهو مناسب لما يكون من الدجال من دعوى الإلهية واستيلائه وعظيم فتنته.
- وقيل: إنما كان ذلك لقوله: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأۡسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنۡهُ﴾ فإنه يهون بأس الدجال.
- وقوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنًا ۝٢﴾ فإنه يهون الصبر على فتن الدجال بما يظهر من جنته وناره وتنعيمه وتعذيبه.
- وقيل: أن قصة أصحاب الكهف فيها عبرة تناسب العصمة من الفتن، وذلك أن الله تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ فهؤلاء قوم ابتلوا فصبروا، وسألوا إصلاح أحوالهم، فأُصلِحت لهم.

الفائدة الثالثة- وقت قراءة السورة:

- يقرأها المسلم كل جمعة على قول من صحح (يوم الجمعة)، وسواء قرأها في يومها أو ليلتها فلا بأس والآثار قد جاءت بهذا وهذا، كما نقل المناوي عن الحافظ ابن حجر[1]، وشيخنا الإمام عبدالعزيز بن باز يرى أنها تُقرأ في نهار يوم الجمعة، والله أعلم.

---

(١) فيض القدير ٦/ ٢٥٨.

تاسعاً- أسرار ولطائف:

أ- في فواتح السورة:

- افتتحت السورة بالحمد على إنزال الكتاب: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ① قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١-٢] ولهذا لطائف، منها:
- **اللطيفة الأولى:** لما نزلت سورة الكهف -بعد انقطاع- بأجوبة أسئلة القوم التي ظنوها معجزة، ناسب أن تفتتح بالحمد لوجهين:
- الأول- أن نزولها كان رداً على تخرصات وبياناً لتمام إنعام الله على عبده.
- الثاني- أن الكفار كانوا يحبون مَساءة النبي ﷺ وأصحابه، فكأنهم وجدوا في تأخر الجواب بغيتهم، فنزلت السورة قاطعة لآمالهم ومبددة لأحلامهم.
- **اللطيفة الثانية:** الحمد يكون لسببين؛ أولهما صفات المحمود الذاتية، وثانيهما أفعاله التي يستحق الحمد عليها[1].
- ف﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، حمد لذاته العلية المتصفة بالصفات الكاملة الزكية، إذ المعنى: الحمد لله المستحق لجميع المحامد لا لشيء غير ذاته، الحائز لجميع الكمالات[2].

---

(١) شرح التلويح على التوضيح ١/ ٨.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١/ ١.

- موجب الحمد الثاني وهو جميل النعم، فقد خص بالذكر هنا نعمة الدين، وهي إنزال الكتاب المستقيم الذي لا اعوجاج فيه على خاتم رسله الموصوف بالعبودية تشريفاً وتعظيماً.
- **اللطيفة الثالثة:** سورة الكهف واحدة من خمس سور افتتحت بالحمد، وهي على ترتيب المصحف: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر.
- ابتدئت الفاتحة بقوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، فوصف بأنه مالك جميع المخلوقين.
- وفي بقية السور ابتدئت بفرد من أفراد صفاته وهو خلق السموات والأرض والظلمات والنور في الأنعام، وإنزال الكتاب في الكهف، وملك ما في السموات وما في الأرض في سبأ، وخلقهما في فاطر.
- **اللطيفة الرابعة:** تعلق الحمد بقراءة فواتح السورة على الدجال والعصمة منه، فالله محمود على صفاته، والدجال معيب في صفته؛ أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية.
- استحق الله الحمد على ما أسبغه من فيض الإنعام، أما الدجال فلا يحمد على شيء البتة، فهو في ذاته وصفاته ناقص معيب قبيح الصورة، وأما ما يجري على يديه فليس راجعاً إلى ذاته، لكنها فتنة من الله ﷻ لمن أعرض عن الحق المبين.

ب- في موضع السورة من المصحف:

- قال ابن عاشور ؒ : (كرامة قرآنية: لوضع هذه السورة على هذا

الترتيب... قرابة نصف المصحف، وهي مفتتحة بالحمد حتى يكون افتتاح النصف الثاني من القرآن بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كما كان افتتاح النصف الأول بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾"[1].

● وقال رحمه الله أيضاً: (سور خمس مفتتحة بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهنّ كلها مكية وقد وضعت في ترتيب القرآن في أوله ووسطه، والربع الأخير، فكانت أرباع القرآن مفتتحة بالحمد لله؛ كان ذلك بتوفيق من الله أو توقيف)"[2].

ج- في المناسبات:

● تلمس بعض العلماء لطائف وأسرار ترتيب السور في المصحف واعتنوا بها، كما أشار السيوطي[3]، فمنها:

اللطيفة الأولى- مناسبتها لما قبلها:

● مناسبة وضعها بعد سورة الإسراء: افتتاح تلك بالتسبيح وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد.

● أن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء: وقد ذكر جواب السؤال الأول في آخر سورة بني إسرائيل[4]،

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٤٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ١٣٥، من تفسير سورة سبأ.

(٣) الإتقان ٢: ص ٢٨٨.

(٤) وهو من أسماء سورة الإسراء.

وهو السؤال عن الروح، فناسب اتصالها بالسورة التي اشتملت على جواب السؤالين الآخرين.

اللطيفة الثانية- مناسبتها لما بعدها:

● أن سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب: قصة أصحاب الكهف... وقصة موسى مع الخضر... وقصة ذي القرنين. وهذه السورة فيها أعجوبتان قصة ولادة يحيى بن زكريا، وقصة ولادة عيسى، فناسب تتاليهما.

● قيل: إنهم من قوم عيسى، وإن قصتهم كانت في الفترة، فناسب توالي قصتهم وقصة نبيهم)[1].

اللطيفة الثالثة- مناسبة فاتحتها لخاتمة ما قبلها:

● قال البقاعي: (لما ختمت تلك بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، بدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص.

اللطيفة الرابعة- مناسبة خاتمتها لفاتحتها:

● لما افتتحت السورة بالتوحيد بحمد الله على كمال ذاته وصفاته وأفعاله كما تقدم، ناسب أن تختم بالتوحيد وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]

---

(١) أسرار ترتيب القرآن ص١٣.

● لما افتتحت بالثناء على الله ببيان كمال إنعامه على نبيه ﷺ بإنزال الكتاب القيم الذي لا عوج له والذي هو كلام الله وصفة من صفاته، ناسب أن تختتم بالثناء عليه سبحانه ببيان عظم هذه الصفة: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف].

د- في خواتم السورة:

● قال السيوطي رحمه الله: (هي أيضاً مثل الفواتح في الحسن لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد)[1].

● بسط سبحانه في هذه السورة جواب سؤالين من أسئلة قريش[2] وأنهى ذلك بقصة ذي القرنين، ولما كان من المفترض أن يؤمنوا في الحال إذ جاءهم الجواب، فقد أتبع الله قصة ذي القرنين ببيان ما أعده للكافرين المكذبين، إنذاراً لمن أعرض عن الحق المبين الذي جاءهم في السورة.

● لما اشتملت هذه السورة على جواب أسئلة المتعنتين، وكان هذا الجواب بكلام الله ﷻ، جاءت الخاتمة بأن علم الله ﷻ لا نهاية له،

---

(١) الإتقان ٢: ص ٢٨٦.

(٢) أما جواب الثالث فجاء في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[الإسراء].

وأنهم مهما تعنتوا في إيراد الأسئلة فلن يُعْجِزُوا الله أن يأتيهم بجوابها.

عاشراً- أغراض السورة:

لهذه السورة نوعين من الأغراض؛ نوع يتعلق بمقاصد السورة ومحاورها الرئيسة، والنوع الثاني جاء في أثناء السورة كتنبيهات أو إشارات عابرة.

١- مقاصد السورة ومحاورها الرئيسة:

- المحور الموضوعي للسورة هو تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان العقيدة.
- من أبرز قضايا الاعتقاد في السورة إثبات اليوم الآخر، وما فيه من النعيم للمؤمنين والعذاب للكافرين، وأدلة البعث، كما في معجزة أصحاب الكهف.
- تصحيح منهج الفكر بالنظر في حواراتها؛ حوار أهل الكهف مع قومهم من أهل الشرك، وحوارهم فيما بينهم، وحوار صاحب الجنتين مع صاحبه، وحوار موسى عليه السلام والخضر، وحوار ذي القرنين مع القوم بين السدين، إلى غير ذلك.
- من المقاصد الرئيسة أيضاً موضوع الفتن، إذ تناولت السورة كما أشرنا ما يتعلق بالفتنة في الدين، والمال، والعلم، والسلطان، وفي أثناء الكلام عنها دروس عظيمة، ومنهج للنجاة منها.

٢- الإشارات والتنبيهات:

- ضبط اللسان والارتقاء إلى ذرى سلوكية عالية في الخطاب.

- إرشاد أهل الفضل ممن هم في موضع القدوة للناس كالعلماء والدعاة وطلاب العلم إلى ضرورة التعفف عن المال وعما في أيدي الناس.
- بيان أهمية الرفقة الصالحة، كما في قصة أهل الكهف، وقصة الرجلين، وقصة موسى والخضر.

الحادي عشر- أسلوب السورة:

- قال في الظلال: (القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة)[1].
- الغرض من قصص القرآن؛ الحكم والفوائد والمواعظ التي سيقت من أجلها.
- كان القرآن يتنزل على رسول الله ﷺ بقصص الأمم السابقة وحالهم مع إخوانه الأنبياء، تثبيتاً لقلبه، وتسلية له عما يصيبهم من غم تكذيب قومه له، فتزكي القصص نفوس أصحابه، وتثبتهم، وتبشرهم.

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٥٠.



التفسير

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ [الكهف].

مسائل تتعلق بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

- الحمد: وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم، فيقال: حمد فلان ربه، أي: وصفه بصفات الكمال مع محبته وتعظيمه[1].
- الفرق بين الحمد والمدح: أن الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، والمدح إخبار عن محاسن الغير مجردًا من حب وإرادة.
- الفرق بين الحمد والثناء: أن الخبر عن المحاسن إما متكرر أو غير متكرر، فإن تكرر فهو الثناء، وإن لم يتكرر فهو الحمد.
- الفرق بين الحمد والشكر: أن الحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان به، لأنه يكون بالقول والعمل والنية، وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية.
- (الألف واللام في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾، لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى، كما جاء في الحديث: "اللهم لك الحمد كله،

---

(١) الشرح الممتع صفة الصلاة ٣/ ٧٤.

ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله"[1] الحديث)[2].

- ﴿لِلَّهِ﴾: اللام هنا للاستحقاق والاختصاص، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (فالمستحق للحمد المطلق هو الله، والمختص به هو الله.
- جعل الله تعالى الحمد متعلقاً باسمه (الله)، فكأن معنى الحمد لله: الوصف بجميع المحامد للإله المعبود بحق، إذ لا يليق تعليقها إلَّا به.
- إسناد الحمد (لله) يجمع كل صفاته، فعبر باسمه الأخص في مسماه ومعناه، الذي لا يشاركه فيه أحد غيره، فهو حمد لذات الله عز وجل المتصفة بصفات الكمال الذاتية والاختيارية.

مسائل تتعلق بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾

- في ذكر نعمة تنزيل القرآن امتنان على المؤمنين من هذه الأمة، أن خص الله نبيهم بهذا الكتاب، الذي لم يُؤت أحد من الأنبياء قبله مثله.
- وفيه امتنان على أمة الدعوة من الثقلين الذين بعث فيهم نبينا ﷺ على فترة من الرسل ليخرجهم من الظلمات إلى النور.
- تخصيص نعمة تنزيل القرآن في بداية السورة لأنه نعمة من أجلِّ

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥/ ٣٩٥ (٢٣٤٠٣)، وضعفه الأرناؤوط.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٣١.

النعم، إذ فيه كل ما تحتاج إليه الأمة مما يتعلق بصلاح الدارين.

- تخصيص هذه النعمة بالذكر في أول السورة مناسب لما جاءت به من أجوبة على مسائل اليهود والمشركين.
- في الآية تشريف للنبي ﷺ من وجوه؛ أحدها أنه تعالى لم يقل: (الحمد لله الذي أنزل الكتاب)، بل قرن ذكره ﷺ بذكر نعمة إنزال الكتاب.
- والثاني أنه قدم ذكره على ذكر الكتاب، ليبين عظيم منزلته.
- والثالث أنه وصفه بالعبودية، إذ هي مقام عظيم، يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى... وقد سمى الله رسوله بعبده في أشرف مقاماته فسماه عبدًا عند إنزاله عليه، وعند قيامه بالدعوة، وعند إسرائه به.
- في ذكر العبودية مقترنة بذكر نعمة إنزال الكتاب إشارة إلى أن مَنْ مَنَّ الله عليه بالعلم ينبغي أن يكون عبداً لله، فيا من شرفه الله ومنّ عليه ورفعه على ما سواه من الخلائق كن عبداً لله.
- من لوازم مقام العبودية تسليم العبد أموره كلها لربه، تسليماً مطلقاً مصحوباً بالإيمان الجازم، وبقدر ما يرتقي يرتقي في عبوديته، حتى يصل إلى تحقيق هذا المقام فترتفع مكانته عند الله ﷻ.
- تحقيق مقام العبودية يستلزم أن يجعل العبد الشريعة حاكمة في كل الحوادث والقضايا، ويجمع إلى ذلك سلامة الصدر من الحرج في ذلك، ثم الاستسلام والانقياد القلبي المطلق، فيجمع الإنسان

انقياد الظاهر والباطن لله ﷻ وشرعته.

- وصف المُنزَل -وهو القرآن - بالكتاب: فيه إشارة إلى وجوب كتابته وجمعه وجوباً كفائياً كما ذكر بعض أهل العلم.
- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ﴾، في هذا رد على الأفاكين ممن زعم أن محمداً ﷺ قد تركه ربه، ومن زعم أنه من عند نفسه إلى غير ذلك من افتراءاتهم، فليس في إنزاله من الله ريب، وليس في تبليغ النبي ﷺ عيب بل هو التزام منه بالعبودية.
- **وصف الله كتابه في الآيات السابقة بعدد من الأوصاف** تغري بالتزامه والعمل به، وتحذر من تركه ومخالفة أمره.
- **وصف القرآن بأنه منزل من الله تعالى:** يدل على أن ما جاء من العلي العظيم، واجب الاحترام والتعظيم، كيف لا وقد نوه الله بمحامد نفسه قبل ذكر إنزاله الكتاب، فهو قد أنزل مِن عند مَن له المحامد كافة سبحانه.
- **وصف القرآن بأنه منزل على محمد** ﷺ: مُشعر بضرورة التأسي به في إجلال وتوقير هذا الكتاب، وبإقامة الحروف والحدود، لا تضييعها، فهو ﷺ قد دعا إليه وحض على التمسك به حياته كلها، وكان مثالاً يحتذى في ذلك.
- **وصفه بصفة تخلية وهي قوله:** ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾: أي لا اعوجاج فيه البتة، لا من جهة الألفاظ، ولا من جهة المعاني. أخباره كلها صدق، وأحكامه عدل، سالم من جميع العيوب في ألفاظه

ومعانيه، وأخباره وأحكامه[1].

- في وصفه بهذه الصفة إبطال ما يرميه به المشركون من قولهم: افتراه، وأساطير الأولين، وقول كاهن، لأن تلك الأمور لا تخلو من عوج[2].
- **وصفه بأنه قيم:** قال الشنقيطي رحمه الله: (وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿قَيِّمًا﴾ أي مستقيماً لا ميل فيه ولا زيغ، فهو تأكيد في المعنى لقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾، فجمع تعالى بين نفي العوج وإثبات الاستقامة.
- **فائدة:** المدح يكون بالنفي كما يكون بالإثبات، وقد مدح الله ﷻ القرآن هنا بالأمرين، لبيان منزلة هذا القرآن، فقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ فهذا نفي، وقال: ﴿قَيِّمًا﴾ وهذا إثبات، ولهذا في القرآن نظائر عديدة.
- وصفه بأنه نذير بأس شديد من لدن الله تعالى فيه تخويف ووعيد عظيم، فإن العذاب إذا جاء من قوي شديد البأس كان عظيماً، فكيف إذا جاء ممن له كمال العظمة والبأس!
- اللام في قوله: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ لام التعليل؛ أي أنزله لأجل أن ينذر الثقلين بأسه، فإنذارهم مراد من إنزال الكتاب، وإذا تقرر أن القرآن ينذر بأساً شديداً، فحق على كل عاقل أن يلتزم بكل ما فيه

---

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ٣/ ٢٦٩.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ٨/ ٣٢٥.

اتقاء ذلك البأس.

- وصف بأنه يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات فهو بشرى للذين استجابوا لله ووعوا النذارة أن عملهم ليس بالمجان! وأن عاقبتهم ليست هي مجرد النجاة، بل لهم على عملهم أجر، وليس أجراً زهيداً بل أجراً حسناً.
- جمعَت الآيات الكريمة وصف القرآن بالبشارة والنذارة، والجمع بينهما منهج قرآني، وفيه فائدة عظيمة للمربين وأولياء الأمور ليسلكوا هذه السبيل، فينذروا ويبشروا، إذ الإنسان يحتاج إلى هذين وفيهما صلاح أحواله.
- قوله: ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ③ ﴾، يعني أن الأجر دائم، وحرف الجر (في) يفيد أن الأجر هو الجنة دار الخلود التي فيها ما أعده الله للعاملين، والأجر الحسن درجات وأنواع، ولكل عامل من ذلك حظه بحسب الإيمان والعمل الصالح.
- القرآن، قيِّم على هذه الأمة، وقد بين الله فيه ما ينفعها في عاجلها وآجلها، فالإعراض عنه كلياً أو جزئياً قدح فيه، والله المستعان.

التمهيد للشروع في موضوعات السورة الرئيسة

قال تعالى: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [الكهف].

- الذين قالوا اتخذ الله ولداً أصناف ثلاثة: المشركون، وهم المعنيون بالخطاب ابتداء، واليهود، وقد قالت بذلك طائفة منهم اندثرت اليوم، والنصارى، وهؤلاء يتناولهم عموم اللفظ، لاعتقاد عامتهم أن المسيح عليه السلام ابن الله.
- قوله تعالى: ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ ﴾ [الكهف: ٥]، يصدق على الأصناف الثلاثة السابقة، وقوله: (به) نفى عنهم العلم بقولهم: (اتخذ الله ولداً)، وهذا لا يمنع أن يكون عندهم علم آخر.
- أثبت الله للكفار علماً فقال: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الروم:٧]، وهذا من تمام العدل، فتوخي الدقة في الكلام من دروس هذه السورة، في هذا الموضع وغيره.
- وقوله تعالى: ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ فيه تشنيع، واستعظام لما نسبوه إلى الله عز وجل من الولد.

- قوله: ﴿تَخْرُجُ﴾ عبر بالمضارع المفيد للاستمرار، ليدل على استمرائهم لها وتكرارهم لقولها، وفيه استحضار صورة خروجها من أفواههم تخييلاً لفظاعتها.
- في الآية تنبيه على عظم أثر الكلمة وخطرها، فبعض الناس يطلق الكلام على عواهنه دون نظر في عواقبه، فيجر على نفسه ومن حوله الويلات، فلا بد من الحذر وكف اللسان، ففيه السلامة من العطب.
- في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ تسلية للنبي ﷺ في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه، فأمره بالإبلاغ فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.
- قوله: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به، وما داخله من الوجد والأسف على توليهم، برجل فارقته أحبته وأعزته، فهو يتساقط حسرات على آثارهم، ويبخع نفسه وجداً عليهم، وتلهفاً على فراقهم! حيث كان النبي ﷺ حريصاً على إسلامهم؛ شفقةً ورحمة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

خواطر تربوية نفسية

- من الدعاة من يأسف لأن من دعاه لم يستجب له، فيغضب لذاته، ومنهم من يأسف لأن من دعاه لم يستجب للحق الذي دعاه إليه، وشتان بين هذا وذاك، والثاني هو الممدوح، لأن الأول إنما يدعو لنفسه، والثاني إذا دعا فإنما يدعو إلى الله، وإلى الحق الذي معه.
- على الداعية أن يجاهد نفسه حتى يكون همه أن يوصل الحق للناس، وأن يكون حزنه إن ردوه لرد الحق لا لرد قوله، فإن فعل فيوشك أن يبلغ أعلى المقامات.
- من الدعاة من أسفه على عدم قبول الحق من المدعويين مشوب بالإشفاق على المدعويين كأسف نبينا محمد ﷺ، ومنهم من أسفه مشوب بالقوة والشدة عليهم كأسف موسى عليه السلام، فتلك منزلة وهذه منزلة، وقد بيَّن شيخ الإسلام ذلك وفصَّل فيه.
- **الحكمة في الدعوة** تقضي باستعمال اللين والرفق في موضعهما، واستعمال الشدة والقوة في موضعهما، إذ لكل مقام مقال، وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام.
- عدم استجابة المدعويين قد ينعكس على الداعية سلباً، فيؤدي إلى شيء من الانحراف في مسيرته، ويمكن هنا أن نسجل نوعين رئيسين من الانحراف؛ الأول: الاستعجال في غير محله، والثاني: التأني في غير محله.
- **الاستعجال في غير موضعه** يوقع صاحبه في واحد من أمور ثلاثة:

التنازل، أو الغلو، أو القنوط.

- **التاني في غير موضعه** يضيع على صاحبه الفرص، وكثيرون يقعون في هذا الأمر بدعوى الحكمة وعدم الاستعجال، والأمر يحتاج إلى فقه وفهم وتقدير للأمور، وإلى حكمة حقيقية غير متوهمة، فالحكمة (فعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي) كما عرّفها ابن القيم في المدارج منزلة الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الكهف].

- يُذَكِّر سبحانه عباده بالغاية من خلق الأرض وما عليها، وهي الاختبار الذي لابد من مفلح فيه وخاسر، وأن يبين مآلها وما عليها بعد هذا الاختبار، وأنها دار فناء لا دار بقاء، فلا ينبغي أن يغتر الإنسان بها.
- في الآية مشروعية التزين، فلا اعتبار لمن يحرم الزينة والتزين، بل من حرم شيئاً من ذلك من تلقاء نفسه فقد تشبه بكفار العرب.
- هنا نكتة لطيفة، إذ لم يقل: (أكثر عملاً)، فلم يعلق المدحَ بالكثرة ولكن علَّقه بالحُسن، وهذا المعنى تكرر في السورة، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف]، وهو متكرر في القرآن في مواضع كما في (هود) و(المُلْك) وغيرهما.

- قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ جرزاً: أي جرداء، كأن في هذا إشارة إلى تهيئتها ليوم البعث حيث يجمع الله الأولين والآخرين في أرض خالية.
- كل نعمة هي زينة يختبر الله العباد بما عملوا فيها هل شكروا لله نعمته أم كفروها.
- الجواب عن سؤال قريش عن الفتية لم يأت بسرد الأحداث سرداً مجرداً، بل جاء بتقرير قضايا العقيدة؛ كإثبات الألوهية لله وحده، والبراءة من المعبودات سواه ومن عابديها، وتضمن إثبات البعث، وعظيم قدرة الله عز وجل، إلى غير ذلك، ولهذا يحسن بالعالِم إذا سئل عن شيء أن يضيف إلى الجواب ما يحتاج إليه السائل ولو كان ليس من ضمن سؤاله.
- يقول الله لنبيه ﷺ: إن قصة أصحاب الكهف وإن استعظمها الناس وعجبوا منها، فليست شيئاً عجباً بالنسبة إلى قدرتنا وعظيم صنعنا.
- العجب في الآية ليس عجب شك وارتياب، لكنه عجب تعظيم وإجلال لقدرة الله، إذ ليس في خلق الله ما يصعب عليه سبحانه.
- يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف]، فإن كان هذا الخطاب لنبينا ﷺ،

أَيُمَكِّن الله بعض الناس في زماننا من رؤيتهم والاطلاع عليهم بكل هدوء واطمئنان؟ فمن ادعى ذلك فقد كذب.

● والمأوَى: مكانُ كلِّ شيءٍ يُأوى إليه ليلاً أو نهاراً، والفتية جمع قلة لفتى، ومدلوله من الثلاثة إلى العشرة، واختلف في دخول العشرة واتفق على أن ما بعدها كثير[1].

● في وصف أصحاب الكهف بالفتية ثناء عليهم بدلالة السياق، لأن الفتى يألف اللهو والباطل، فلما لم يصرفهم ذلك عن المعالي استحقوا التنويه، كإبراهيم عليه السلام ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء].

● لما علم الفتية أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن على نفسه من الفتنة أو يلقي بها في التهلكة فروا بدينهم، وما قالوا: نحن لا نخشى شيئاً ولا نبالي بما يفعله قومنا، فلا ينبغي لأحد أن يقدم على الفتنة راضياً مختاراً ما دام في سعة من ذلك، ولم يدخلوا في مغامرة غير محسوبة أو تهور عاقبته وخيمة، كما يفعل بعض الشباب هداهم الله.

● ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ هذا دعاء الراسخين في العلم، والآية تدل على أن من وسائل الثبات سؤال الله عز وجل الرحمة والرشاد، وأن من ثمار العزلة الشرعية نيل رحمة الله.

---

(١) انظر البحر المحيط للزركشي ٤/ ١٢٤.

- اعتنى الفتية بألفاظ الدعاء، فسألوا الله أن يؤتيهم من لدنه رحمة، وفي هذا أدب مع الله إذ تضمن إثبات الرحمة له وإفراده بذلك، من عنده لا من غيره.
- ينبغي أن يكون المسلم، ولا سيما الداعية الذي يتربص به الشانؤون؛ يلهج بسؤال الله الهداية إلى الرشاد في أمره كله، عسى الله أن يستجيب له فيصلح من أمره.
- ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ بالنوم في الكهف؛ أي ألقينا عليهم النوم، والمعنى: أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات[1].
- ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ في التعبير بالبعث دلالة عظيمة على البعث بعد الموت، وأنه من جنس البعث من النوم، وفيه مناسبة لخطاب منكري البعث.
- ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ لفظ النبأ يدل على عظم خبرهم وأنه ليس كسواه من الأخبار، لما جاء فيه من عجيب أمرهم،وفي هذا بيان لكون من خاض في شأنهم إنما خاض فيه بجهل وقال ما لا علم له به.
- في الآية بيان أن الحق وفصل الخطاب في الأمر إنما هو ما يقصه الله لا غيره، وأنه لا سبيل لهم إلى علمه إلا بواسطة النبي ﷺ تأكيداً على رسالته ونبوته.
- قص القصص من جملة الكلام، وفي هذا إثبات لكون الله تعالى

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ٣/ ٢٨٣.

يتكلم، وكلامه سبحانه لرسله صلى الله عليهم وسلم، قد يكون بلا واسطة، وقد يكون بواسطة ملك، وهو جبريل عليه السلام، وقد يكون من وراء حجاب.

- قول الله تعالى: ﴿ نَّحْنُ ﴾ المراد بها التعظيم، وهي صيغة مستخدمة في كلام العرب للواحد العظيم الذي له مأمورون، سواء أكانوا أعواناً أم عبيداً أم خدماً يطيعونه.
- ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ⑬﴾ قال صاحب الأضواء: (ويفهم من هذه الآية الكريمة أن من آمن بربه وأطاعه زاده ربه هدى، لأن الطاعة سبب المزيد من الهدى والإيمان ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ⑰ ﴾[محمد]، ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ [يونس:٩]، وهو متكرر في القرآن.
- ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ ﴾ الربط على القلوب ضروري للنجاة من الفتن، وهو محض تأييد من الله لعباده، والربط على قلوبهم يتضمن الشد عليها بالصبر والتثبيت، وتقويتها وتأييدها بنور الإيمان ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص:١٠].
- المرء قد يربط على قلبه ويثبت، ثم يذهل عن الكلام لنصر الحق بالقول فيخذله التعبير، أما هؤلاء فقد ثبتهم الله وربط على قلوبهم ربطاً تاماً، فوُفِّقوا لحسن البيان.
- الثبات المستحق للإشادة هو المنضبط على الحق الظاهر، فهم قاموا فقالوا حقاً، أما الثبات على الباطل، فهو حري بالذم والتسفيه،

بل لم أجد في القرآن تسمية ذلك ثباتاً، ولا ربطاً، بل زيغاً وطمساً، والكفار عبروا عن ذلك بالصبر ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص:٦]، ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان:٤٢].

- منهج الدعوة يجب البدء فيه بالأهم؛ وهو التوحيد، فمع أنه لا تكاد تخلو دولة من منكرات، إلا أنهم بدؤوا دعوتهم بالتوحيد ونبذ الشرك، ثم كانت المفارقة لأجله.
- سر هذا المنهج – البدء بالتوحيد- أن الإصلاح في أحد جوانب الحياة إذا لم يبدأ بالتوحيد فهو عسير أولاً، وغش للمدعوين ثانياً، وتأمل قصة يوسف عليه السلام في السجن ودعوته للتوحيد.
- فعلى الداعية أن يبدأ بما تمس الحاجة له، لا إلى ما يرتضيه المدعوون ويعجب به المستمعون، ولو كلفه ذلك المشقة أو العزلة والرحيل، وبعض الجماعات لا تهتم بالدعوة إلى التوحيد وقضايا العقيدة؛ خوفاً من خسارة المدعوين، فأي ربح بعد ذلك؟!
- يخبر الله تعالى أنه قد ربط على قلوب الفتية وثبتها، ومن علم أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فحري به أن يلهج بدعاء التثبيت.
- البعض يتنازل عن شيء من الدين، أو يحرف بعض الشرع لينزل إلى رغبات المخالفين، لأجل المصالح الدنيوية، والمكتسبات الآنية، التي يحسب أنه ينصر بها الدعوة، كتكثير جماعته، وهذا من أكبر مداخل الشيطان، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَآ

أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف]، ويقول عن نوح ﷺ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود].

- من أراد معرفة صفة القلة الموفقة الثابتة التي يختارها الله فيربط على قلوبها، فليتأمل وصف الفتية على ما مر، وليعلم أن الله لن يخذل عبداً كان ديدنه الدعاء والالتجاء إلى مولاه، مع سلامة المنهج وصحة القصد.
- للتثبيت أسباب كثيرة؛ منها الدعاء، ومنها الإيمان بالله، وتجريد التوحيد له سبحانه، والتعلق به وصدق الالتجاء إليه ﷻ، ومحبته وإيثاره على القوم والأوطان وعلى كل ما عداه، وبغض عدوه كائناً من كان، كما كان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وهما أسوة وقدوة بنص القرآن.
- دلائل التثبيت وعلاماته بَعد نزول البلاء منها: الثبات على الدين والتوفيق إلى ما يحبه الله، وأما قَبْله فمن علاماته: أن يكره الزيغ كما يكره العذاب ومن كره الزيغ كراهيته العذاب لم يقارف المعصية إلَّا مُكرَهاً.
- قولهم: ﴿بِسُلْطَٰنِۭ بَيِّنٍ﴾ فيه إشارة إلى أن الشرع قد جعل للحجة الظاهرة سلطاناً يوجب الخضوع لها، وأن الباطل لا سلطان له، وأن العبادة لا بد لها من حجة ظاهرة، وأن من أحدث عبادة بغير برهان فقد افترى على الله كذباً.
- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ الافتراء على الله من أعظم الموبقات، ولا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب بادعاء أن له

شريكاً كما افتراه عليه قوم أصحاب الكهف، وقد تكرر هذا في القرآن في مواضع عدة؛ لعظم الافتراء، وله صور قد يقع فيها البعض بحُسْن نية.

- القول على الله بلا علم ليس في المحرمات أعظم منه، ولا أشد إثماً، وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أسست البدع، فكل بدعة مضلة أساسها القول على الله بلا علم، فإنه يتضمن الكذب على الله، وتغيير دينه وتبديله، ولهذا كان أعظمها كما في سورة الأعراف ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.
- في موقف الفتية من قومهم إعلان لعقيدة البراءة من الشرك ومن أهله، وإعلان العداء لهم، وكأنهم يقولون: وإن كانوا (قومنا) الذين تربطنا بهم صلة القومية؛ الذين ننسب إليهم والذين خرجنا من بينهم! وهكذا يجب أن يكون المؤمن.
- ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ هذا يدل على أن اعتزال المؤمن قومه الكفار ومعبوديهم من أسباب لطف الله به ورحمته، والعزلة لها أصولها وضوابطها ووقتها.
- من لجأ إلى الله حق الالتجاء كان له ناصراً ومعينا، وأحال عسر أمره يسرا، وجعل له من بعد الضيق فرجاً ومخرجاً ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف].
- قول الفتية: ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ ما يشعر بقوة تعلقهم بالله تعالى، ويقينهم وهذا اليقين عبادة قلبية

عظيمة، وهذا اليقين لم يمنعهم من عبادة جليلة، هي الدعاء بطلب الرحمة وتهيئة الأمر عندما أووا إلى الكهف.

- ثقة الفتية بربهم دلت على عظيم إيمانهم، وتقديمهم التوحيد على زخرف الحياة الدنيا دل على أن حصول الرحمة وتهيئة الأمور يكون بأداء المشروع والمأمور.
- من يمتنع عن قول الحق وأداء ما أوجب الله عليه، أو الوقوف في وجه الباطل خشية السجن أو الفقر أو النفي وغير ذلك، فقد أخطأ وأساء الظن بربه، بل يجب عليه أن يعلم أن ربه سينشر له من رحمته إن قام بواجبه، بل أن يوقن بذلك كما أيقن الفتية (أنا عند ظن عبدي بي).
- العزلة إما أن تكون حسية؛ بأن يعتزل المرء الناس ولا يخالطهم، دون أن يعتزل ما هم عليه من باطل، وهذه عزلة شخصية لا شرعية.
- وإما أن تكون معنوية؛ بأن يبقى المرء بين قومه ولكن يعتزل ما هم عليه، كما يحصل في زماننا إذ تنتشر المخالفات في كثير من المجالات فيعتزلها المرء ويدعو إلى تركها لكنه يبقى في وطنه بين قومه وأهله، كما بقي موسى وهارون في التيه يدعون قومهم.
- وإما أن تكون حسية ومعنوية في آن؛ كما كان من الفتية إذ فارقوا قومهم بأبدانهم، وفارقوا عبادتهم غير الله ﷻ، فاعتزلوا المكان وذهبوا إلى الغار، واعتزلوا العبادة إلا عبادة الله، وكما اعتزل إبراهيم قومه وهاجر ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾[الصافات]،

﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [مريم:٤٩].

- الاعتزال في الكهوف والغيران ونحوها، إنما يصح بضوابطه في زمان الفتنة، مع تعذر الهجرة.
- يجوز للمرء أن يعتزل اعتزالاً جزئياً لمقصد صحيح؛ كأن يعتزل لطلب العلم ونحوه، شريطة أن يقوم بالخلطة الواجبة، مثل المحافظة على الجمعة والجماعة.
- لا بد للعبد من أوقات ينفرد فيها بنفسه؛ في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه، ومن أهمها وأقواها أثراً الاعتكاف، وبخاصة في العشر الأخيرة من رمضان؛ علماً أن الاعتكاف ليس خاصاً بها، فيشرع أي يوم في السنة.
- من العزلة السائغة: عزلة بعض الناس دون بعض، فيقتصر المرء في علاقته على من ينتفع به، ويزداد إيماناً بصحبته، وهذه تسوغ في حق من لم يستطع التأثير، ووجد نفسه يتأثر تأثراً سيئا بمن حوله، وقد يجب هذا أحيانًا.
- العزلة الواجبة تكون في زمن الفتنة، وهي التي قال فيها ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري: "يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن"[1].

---

(١) صحيح البخاري ١/ ١٥ (١٩).

- من العزلة الواجبة: عزلة أهل الباطل ولا سيما إذا استطال شرهم، وعظمت سطوتهم بالذين آمنوا، فلا يستطيعون إقامة شعائرهم فضلاً عن الدعوة، فعندئذ إن لم تمكن الهجرة تجب العزلة، وهذا ضرب من البراء اللازم ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يونس].
- التعايش مع أهل الكفر في حال قوة المسلمين لا يكون إلَّا بضرب الجزية، والتزامهم بأحكام أهل الذمة، أو العهود المؤقتة إلى أجل، بحسب أولويات دولة الإسلام.
- التعايش مع أهل الكفر في حال الضعف، إن كان على نطاق الفرد فالأصل أن لا يقيم المسلم في ديار الكافرين ولا يعيش بينهم، وقد يقيد هذا في واقعنا المعاصر بالأحكام التي يمكنه التزامها في بلاد الإسلام.
- الهجرة إلى دار الإسلام واجبة مع القدرة على من لم يتمكن من إظهار شعائر دينه، أو اعتزال الشرك وأهله، ولو في المناطق المهجورة، ولا يترك ذلك إلَّا عجزا، فلا يكلف الله نفساً إلَّا وسعها ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ [النساء:٩٧]، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت].

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف].

- من عظيم لطف الله وعنايته بأصحاب الكهف أن هيأ لهم من الأسباب ما يحفظهم من الآفات! فكان في ذلك آية جديدة تدل على عظيم قدرة الله وبالغ حكمته سبحانه.
- ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ﴾هؤلاء الفتية قد هُدوا هدايتين؛ الأولى إلى الإيمان والتوحيد، والثانية إلى الفرار بدينهم واللجوء إلى الكهف.
- ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ فلا تجد من يتولاه ويدبره، على ما فيه صلاحه، ولا يرشده إلى الخير والفلاح، لأن الله قد حكم عليه بالضلال، ولا راد لحكمه[1].
- هؤلاء الفتية لم يروا رسولاً ولا أصحاب الرسل، ولم يجدوا أحداً من أتباع الرسل كما وجد الغلام الراهب فعلّمه الإسلام، إلا أنهم اهتدوا بفطرتهم للحق، وهذا النوع من الهداية محض فضل من الله، لا بد أن تطلب منه، ولعظم هذا الأمر يؤمر العبد أن

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٤٧٢.

يسأل ربه الهداية كل صلاة، وربما كان هناك بقية يحملون الدين، لكن كانوا مختفين، أو لم يرد ذكرهم هنا، وربما ماتوا قبل أن يظهر الفتية، وهذا احتمال له وجه أقوى من الأول.

- الربط بين تسخير الآيات الكونية للفتية وبين الهداية في قوله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف]، يشعر بأهمية التفكر في آيات الله والنظر والتمعن فيها، كوسيلة للاهتداء للحق.
- ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ نوم عامة الناس يكون بعيونهم وقلوبهم، فيغمضون عيونهم ولا تدري قلوبهم بما يدور حولهم، وأما نومة أهل الكهف فكانت بقلوبهم أما عيونهم فكانت مفتوحة على ما قيل.
- ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ قال ابن كثير: (ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب،... وكان جلوسه خارج الباب؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب) [1]، وفيه مزيد رحمة ولطف من الله سبحانه بهم.
- ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ لما كان الله ألبسهم من الهيبة، كي لا يصل إليهم واصل، حتى يبلغ الكتاب أجله، ويوقظهم الله بقدرته وسلطانه في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء.

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ١٤٤.

● النوم نعمة في الأحوال العادية، وهو في حال الخوف والهلع أظهر لتسكن النفوس ويذهب ما بها من قلق واضطراب فتنعم ببرد الأمان ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال:١١].

● مَنْ صاحب الأخيار نال مِن خيرهم ومَنْ صاحب الأشرار نال مِن شرهم، قال ابن كثير ﷫: (وشملت كلبَهم بركتُهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا فائدة صحبة الأخيار؛ فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن)[١].

● كما نفعت الكلب مصاحبة الفتية وليس منهم، فكذلك أهل الخير وإن لم تعمل بعملهم مما ليس واجباً، فإنه يصيبك من الخير الذي يصيبهم (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)، فما أوسع رحمة الله وما أعظمها!

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ١٤٤.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الكهف]

- ينقل القرآن السامع نقلة كبيرة جديدة، إذ يتجاوز كل ما يمكن أن يكون حدث بعد فرار الفتية، ليظهر لهم ولقومهم عجائب قدرته، وأنه وحده من بيده الإماتة والإحياء والبعث والنشور.
- ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ في قولهم هذا أدب عظيم مع الله في رد العلم إليه، ويتفرع منه رد كل علم إلى عالمه، ولو عمل الناس بهذا الأمر ورجعوا إلى العلماء المعتبرين، لهداهم الله ولأخذ بنواصيهم إلى الحق المبين.
- ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ﴾ فيه مشروعية حمل المال في الترحال، وهذا موافق للعقل والطبع السليم، كي لا يتعرض المرء للهلكة أو لذل السؤال.
- ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ قولهم (أزكى) لا تعني التفضيل المطلق وإنما مطلق التفضيل، فليس المقصود البحث عن أزكى طعام على الإطلاق بل أرادوا طعاماً زكياً.
- ينبغي تحري المطعم الحلال، فإن الحرام لا يكون زكياً، وكثير من الناس لا يتحرى الحلال، وهذا من أسباب شقاء كثير من البيوت والمجتمعات، لأثر المال على سعادة الإنسان أو شقائه.

- ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ أي: في خروجه وذهابه، وشرائه وإيابه، يقولون: وَلْيَتَخَفَّ كل ما يقدر عليه ﴿وَلَا يُشۡعِرَنَّ﴾ أي: ولا يعلمن بكم أحداً[1].
- ﴿يَرۡجُمُوكُمۡ﴾ يقتلوكم بالرجم، وهذه القتلة أخبث قتلة. وكان ذلك عادة لهم، ولهذا خصه من بين أنواع ما يقع به القتل[2].
- علق الفتية عدم الفلاح على العود في دين قومهم وما كانوا عليه من الشرك، لا على الرجم، لأنهم إن قتلوا في سبيل الله نالوا الشهادة وهذا من أعظم الفلاح في الدنيا والآخرة.
- لم ينكر عليهم طلب الطعام الطيب أو أطيب الطعام مع أنهم دعاة إلى الحق، يحملون هموماً عظاماً فلا حرج على أهل الفضل والصلاح وغيرهم في شيء من ذلك ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الأعراف:٣٢].
- في قوله تعالى: ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ دليل على تجنب العنف ما أمكن في الدعوة، وهؤلاء الفتية كانوا شجعاناً اختاروا قرار الإيمان، وصدعوا به في وجه الملك الطاغية، ولكنهم لم يختاروا المواجهة لأنها اختيار غير حكيم في مثل حالهم.
- مجيء قوله تعالى ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ في منتصف القرآن فيه لطيفة، فكلمة (وليتلطف) تتوسط القرآن والوسطية الحقة منهج رباني

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ١٤٥-١٤٦.

(٢) فتح القدير ٤/ ٣٧٧ بتصرف يسير.

وهي تقتضي كثيراً من التلطف.

- من أعظم الفوائد التي يحرص عليها المسلم: البعد عن أسباب الفتن، فهؤلاء الشباب أوصوا موفدهم بأن يتلطف، مخافة أن يُعثر عليه فيدل عليهم فيُفتنوا في دينهم، وهذا أصل عام في النأي عن الفتن عامة.
- البعد عن الفتن لا يعني أن يتخلى المؤمن عن دينه، فهذه أعظم فتنة يهرب منها!
- نلاحظ أنهم أرسلوا واحداً منهم فقط، وهذا من التلطف أيضاً، وفي هذا درس مهم للعاملين في مجال الدعوة، وهو تكليف العدد المناسب للمهمة، فإن الزيادة قد تفسد العمل، وفيها إهدار لطاقات يمكن توجيهها لعمل آخر مفيد.
- كان الفتية متساوون فيما بينهم، وهذا لم يمنعهم أن يقوموا بالتوجيه والندب فيما بينهم، لفعل ما فيه مصلحة، وعلى من وجه له الأمر أن يقبله بصدر رحب ولا تأخذه الأنفة وتمنعه من الاستجابة.
- من التلطف تعليل الأمر، وهو من الآداب المهمة في التوجيه، وهكذا ينبغي أن يكون الإخوة فيما بينهم، بل هكذا ينبغي أن يكون المربي أيضاً، فيعلل لتلامذته ويبين لهم وجه المصلحة فيما يرشدهم ويدلهم إليه ما وجد إلى ذلك سبيلاً، وهو منهج مطرد في القرآن والسنة ما عدا الأمور التعبدية، فقد تخفى علينا بعض الحِكم في تفصيلاتها لا في أصل مشروعيتها.

- الأصل في العمل لدين الله العلن، لكن حرص الفتية على ألا يشعر بهم أحد، يدل على أنهم قد انتهجوا نوعاً من العمل السري، وقد كانت الدعوة في مبدئها في مكة المكرمة سرية ولم يكن ذلك ضعفًا بل مراعاة للحال.
- إذا كان التلطف مع الأعداء مطلوباً لتحصيل منفعة دينية، فهو مطلوب مع المؤمنين من باب أولى، ومن التلطف أن يراعي المربي حال من معه من طلاب أو أتباع.
- الحياة لا تخلو من المشكلات، والوصول إلى حلول لهذه المشكلات لا بد له من تلطف وهدوء وتأن، وكلما كبرت المشكلة زادت الحاجة للهدوء والتروي ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ [يوسف:٨٧].
- للتوكل على الله ﷻ ركنان، ظاهر وباطن، أما الظاهر فهو السعي والأخذ بالأسباب لتحصيل المقصود، وأما الباطن فهو تعلق القلب بالله وحده، وترك الأسباب لا يسمى توكلاً بل تواكلاً، وهو قدح في التوحيد؛ لأن الله أمر بالأخذ بها.
- حمل الفتية الورِق مع دعائهم أن يهيئ الله لهم من أمرهم رشداً وثقتهم أنه سيهيئ لهم من أمرهم مرفقاً، كان تطبيقاً عملياً للتوكل كما ينبغي.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الكهف]

- ﴿ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ الوعد الحق يشمل كل وعد الله، فيجب على كل المؤمنين اعتقاده، فكل ما وعد به ربنا واقع لا محالة؛ من نصرة الحق وأوليائه، ومن انتصار الإسلام، والتمكين لأهله على باقي الأمم.
- الاعتقاد بتحقق الوعد لا ينبغي أن يحول بين المرء والعمل لدين الله، ولا يركن لهذا الموعود ويترك العمل انتظاراً له، فهذا من العجز والتواكل المنهي عنه.
- ﴿ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ إن التنازع بين أصحاب المنهج الواحد شر كله، ويزداد إن لم يحسم الخلاف لتعود اللحمة والألفة إلى الجسد الواحد، ويزداد الشر كذلك إن تم حسمه بقهر الطرف الأقوى للأضعف.
- اتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها منهي عنه فلا يجوز، ولا تصح الصلاة في مسجد بني على قبر؛ لأن الصلاة في المقابر لا تصح، لأن ذلك ذريعة إلى عبادة صاحب القبر أو شبيهٌ بفعل من يعبدون صالحي مِلتهم[1].

---

(١) التحرير والتنوير ٨/ ٣٥٣.

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف]

● في الآية رد العلم إلى عالمه: وقد كان النبي ﷺ -وهو أعلم الناس بدين الله- يُسأل فيسكت عما لم ينزل فيه عليه وحي حتى يأتيه الوحي.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الكهف]

● فضل (إن شاء الله) عظيم، لأنها تدل على الثقة بالله ومحبته والاعتماد عليه جل وعلا. وقد قال الله هذه الكلمة في وعده للنبي ﷺ وصحابته دخول المسجد الحرام معتمرين: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الفتح].

● قال ابن الجوزي: (فائدة الاستثناء أن يخرج الحالف من الكذب إذا لم يفعل ما حلف عليه، كقوله في قصة موسى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، ولم يصبر، فسَلِم من الكذب لوجود الاستثناء في حقه)[1].

---

(١) زاد المسير ٤/ ٢١٦.

●في الآية توجيه لما ينبغي أن يكون عليه العبد من أدب مع الله ﷻ باطناً وظاهراً، أما باطناً فباعتقاد أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وفي هذا وقوف عند حد العبودية، وأما ظاهراً فبضبط اللسان ليكون موافقاً ومعبراً عن اعتقاده.

●من الأخطاء التي شاعت بين الناس أن يستثنوا فيما مضى، فيقول أحدهم: تزوجت إن شاء الله، سافرت إن شاء الله، وهذا لا وجه له لغةً ولا شرعاً ولا عقلاً، فهو في الآية مقيد بما يكون في المستقبل.

●على المسلم أن لا يستثني في الدعاء، بل يعزم المسألة، قال ﷺ: "لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلْيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ، إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لاَ مُكْرِهَ لَهُ"[1].

● الذي يظهر لي أن الله سبحانه بين بالثلاثمائة مقدار لبثهم بحساب أهل الكتاب أي ثلاثمائة شمسية، ثم بين أنها بالقمرية ثلاثمائة وتسع، لأنه الحساب الذي ارتضاه سبحانه، وهو ما عليه جمهور المفسرين واختاره ابن كثير، ويؤكد ذلك أن الله أعقب ذكرها بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ بعد أن ساق ذكر لبثهم بأسلوب الخبر ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ﴾ ولم يسقه على سبيل الحكاية عن أهل الكتاب أو غيرهم كما ساق بقية أخبارهم.

(١) صحيح البخاري ٦/ ٢٧١٨ (٧٠٣٩)، صحيح مسلم ٤/ ٢٠٦٣ (٢٦٧٩).

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الكهف]

- تدبر في قوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ بعد أن ذكر خبر لبثهم، لتأكيد المصدر الوحيد للتلقي وأنه الرسول ﷺ المبلِّغ عن الله سبحانه، وعدم الاعتداد بأي مصدر آخر، حيث إن ضلال البشرية كان بترك مصدر الوحي، والاعتماد على غيره.
- ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ أي: إنه لبصير بهم سميع لهم، وذكر ابن الجوزي أن لهذه العبارة وجهين، الأول وهو ما سبق، قال: (والثاني: أنه في معنى الأمر، فالمعنى: أَبصِر بِدِين الله وأَسمِع، أي: بصّر بهدى الله وسمِّع.
- ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ قال ابن الجوزي: ولا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله به، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه فيكون شريكاً لله ﷻ في حكمه[1].
- **خوارق العادات:** هي ما يحصل بخلاف العادة، ولا شك أن قصة الفتية منها، والخوارق تقع للأنبياء قبل بعثتهم، وتقع بعد البعثة وتكون معجزات دالة على صدق نبوتهم، وهناك خوارق تقع للصالحين فهذه كرامات.
- بعض خوارق العادات تقع للكفار والزنادقة وهي أحوال شيطانية لا رحمانية، كالتي تجري على أيدي بعض السحرة والدجالين.

---

(١) زاد المسير ٤/ ٢١٧.

● إذا وقعت الخوارق على يد رجل صالح مشهود له بالتقوى ولم ينتقد في دينه فهذه كرامة، وإن وقعت للسحرة والدجالين ومنحرفي العقيدة فهذه فتنة وبلاء واستدراج.

● في قصة أصحاب الكهف، تسلية لأهل الدعوة الذين يحملون همها، أن يتحلوا بطول النفَس ويجعلوا زادهم يقينهم أن العاقبة للتقوى، وأن الله تعالى ناصر دينه.

● علم الغيب: اختص الله تعالى به، فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن].

● من تأمل قصة أصحاب الكهف وجد أن الله نصرهم على عدوهم بأنْ حال بينه وبينهم فلم يؤذهم، وأهلكه وأنشأ بعده قرناً مؤمنين، وحفظ لهم دينهم وهذا من أعظم النصر.

● هناك عدد من الأسباب المعنوية والمادية التي نال الفتية بها رعاية الله ونصره وتوفيقه، فينبغي للمؤمنين عامة ولشباب الأمة خاصة أن يتأملوا في هذه الأسباب ويتدارسوها ويسعوا لتحصيلها.

● من الأسباب التي نال الفتية بها رعاية الله ونصره، التوحيد، والحرص على الرفقة الصالحة، والثبات، والهجرة والاعتزال، وحسن الظن بالله، والدعاء، والشورى، واجتماع الكلمة، والأخذ بالأسباب، واتخاذ القرار العاقل.

● الفتنة والاختبار من تبعات الإيمان، فمن ادعى الإيمان ابتلاه الله ليتبين صدقه ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾

[العنكبوت]، وينبغي على المسلم أن يأخذ بأسباب الثبات في الفتن.

- **السّبب الأساسيُ لثبات الفتية في الفتنة** أنهم آمنوا إيماناً خالصاً، فزادهم الله إيماناً، ولذا عندما حضرتهم الفتنة ربط الله على قلوبهم بنور الإيمان ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس:٩].
- من أسباب الثبات **العلم الصَّحيح الثَّابت والاعتصام بالكتاب والسنة**، ومن علمهم الراسخ ترك الخوض في المشتبهات ورد علمها إلى الله.
- من الأسباب **لزوم جماعة الحقِّ ولو كانت قليلة مستضعفة**: والحق لا يعرف بكثرة أو قلة، بل الكثرة أكثر ما تجيء في القرآن مذمومة.
- ومن أسباب الثبات **التّوجّه إلى الله بالدُّعاء وطلب التّثبيت**: وهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن[١].
- الخامس من أسباب الثبات **العمل، ومنه الفرار بالدّين واعتزال أهل الباطل**: وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن، أن يفرَّ العبد خوفًا على دينه ففي هذه الحال تشرع العزلة، ولا تشرع فيما عداها، لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع[٢].

---

(١) الجواب الكافي: ص ١٠ بتصرف يسير.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥/ ١٤٢ بتصرف يسير.

●ومن الأسباب كذلك **حسن تقدير الأمور وترتيبها**: فخروج هذه العصبة سبقه الإعداد والترتيب، فقد ذكر الله تعالى نقاشهم قبل خروجهم، وتعيينهم الكهف وإحضارهم الرقيم، وحوارهم بعد يقظتهم وحرصهم على التلطف.

قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ
مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا (٢٧) وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا
وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا (٢٨) وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ
أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ
بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا (٢٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ
مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن
ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ
مُرۡتَفَقٗا (٣١) ﴾ [الكهف]

●أمر الله نبيه أن يبلغ ما أوحي إليه من قصة أصحاب الكهف وغيرها، ومن الدعوة للتوحيد والنهي عن الشرك وغير ذلك؛ وأمره أن يجهر به كله بين أظهر الكافرين.

●لما أخبر أنه تعالى له غيب السماوات والأرض، فليس لمخلوق إليها طريق، إلا التي يخبر بها عباده، وكان القرآن قد اشتمل على

كثير من أمور الغيب، أمر تعالى بالإقبال عليه فقال: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾..."[1].

- ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ تدل على أن أحداً من الخلق لا يقدر أن يغير شيئاً من هذا الكتاب لا بزيادة ولا بنقصان ولا بتحريف ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر].
- ببيان أنه لا مبدل لكلمات الله قطع آمالهم أن يستجاب لهم في تبديل وتغيير ما لا يوافق أهواءهم من الوحي، فالله هو الذي يثبت وينسخ ما يشاء.
- ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ جعل الله للمسلم كهفاً معنوياً يأوي إليه ليقيه الفتن والمحن، هذا الكهف هو التوحيد والإيمان والتقرب إلى الله بما يرضيه، فإن من أوى إلى الله أوى إلى ركن شديد.
- إن كثيراً من أهل الابتلاء يعيشون عيشة راضية لا ينالها كثير من أهل العافية، والسر في ذلك أنهم أنسوا بالله فأزال عنهم وحشة الطريق.
- في الأمر بتلاوة كتاب الله والعمل به في مواجهة المكذبين دليل على ما لهذا من أثر في تثبيت القلوب وتزكيتها.
- في الآية إرشاد للتأسي بالنبي ﷺ في تبليغ القرآن للناس مع العمل به ليوافق الخبر الخبر فتؤتي دعوتهم أكلها بإذن الله.
- في الآية رد على المبدلين لشرع الله إذ تتعالى أصواتهم في هذا

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٤٧٥ باختصار.

الزمان؛ وتحذير لهم وغيرهم إن فعلوا ذلك بأنهم لن يجدوا من عذاب الله ملجأ.

- في الآية تعظيم القرآن وتفخيم قدره، إذ لا يعلم كتاب حفظ من التبديل مع تطاول الزمان سوى كتاب الله، وفي هذا ترغيب في الإقبال عليه بالإيمان والقراءة والعمل.
- في الآية حماية لجناب التوحيد؛ (فإذا تعين أنه وحده الملجأ في كل الأمور، تعين أن يكون المرغوب إليه، في السراء والضراء، المفتقر إليه في كل الأحوال، المسؤول في جميع المطالب)[1].
- ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ سبب نزول الآية أن قومًا من قريش طلبوا من النبي ﷺ أن يطرد بعض أصحابه المساكين في نظرهم إن أراد أن يجلسوا إليه، فأمره جل وعلا ألا يلتفت لهم، وأن يحبس نفسه على أصحابه المؤمنين.
- ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ فلا يريدون منافع دنيوية من منزلة بين الخلق أو مكانة عالية، ولا جاهاً ولا سلطاناً ولا شيئا من حطام الدنيا الفاني، فمرادهم الوحيد هو تحصيل مرضاة الله ﷻ، بخلاف هؤلاء من كفار قريش، ممن يريدون الفخر والعلو على الناس، ويتكبرون على هؤلاء الضعفاء حتى بمجرد الجلوس معهم.
- أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يحبس نفسه مع من يدعونه سبحانه من أهل الإيمان، وفي هذا (الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٤٧٥ بتصرف.

على ذلك، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى)"[1].

- الإنسان بحاجة لأعوان على الحق؛ بتعلمه والعمل به والدعوة إليه، والبعد عن الباطل ومحاربته، خاصة زمن الفتن والشبهات والشهوات.
- يخطئ من يثق في قدرته على حفظ دينه وسط فتن تموج موج البحر وهو بمعزل عن أهل الصلاح، فالذئب يأكل من الغنم القاصية، ويد الله مع الجماعة.
- الاجتماع على الخير لا بد له من ترتيب كي يستقيم الحال، فلكل فرد دوره المنوط به وبتكامل الأدوار وبحسن إدارة الأفراد وتنسيق جهودهم ترتقي الجماعة؛ أي جماعة بدءاً من العائلة الصغيرة وانتهاء بالدولة ومؤسساتها، بل والأمة جمعاء.
- في هذه الآية درس بليغ؛ فالمرء مهما بلغ من علو الشأن لا ينبغي أن يترفع عن أهل الخير، أو يعرض عنهم إن كانوا فقراء أو ضعفاء، فإن كانت هذه وصية الله لرسوله ﷺ، فكيف بمن هو دونه؟ فتفقّد قلبَك، واحذر أن تحتقر مسلماً لفقره أو ضعفه أو نسبه أو بلده.
- نبهت الآية أن من خالط أصحاب الجاه قد يميل إلى الدنيا، ولهذا نهى السلف عنه، لما عندهم من النعيم، وقد يدخل يريد النصح، ثم يجد من الإكرام ما يجعله يميل دون أن يشعر لمن يكرمه، ثم

(1) تفسير السعدي ١/ ٤٧٥ بتصرف يسير.

يكون سبباً في ضلاله إذا لم يكن مستقيماً.

- التحذير من الدخول على أصحاب الجاه والدنيا ليس صداً عن المناصحة، لكن لا بد من تصحيح النية، والتجرد والمراقبة والتضرع إلى الله بحفظ قلبه من الركون إليهم، فكم دخل من ناصح وخرج يحتاج إلى النصح.
- لطيفة: قال سبحانه: من أغفلنا قلبه، ولم يقل لسانه، فقد تجد رجلاً دائم الذكر، ولا تجد أثر هذا في دينه وخُلُقه ومعاملاته، بل قد تراه يقع في الحرام، والسبب أن هذا ذكر بلسانه لا بقلبه، ربما بحكم العادة أو الغفلة، فلا بد من تفقد حال القلب.
- جاء الإسلام بتحصيل المنافع ودرء المفاسد، الدينية والدنيوية، وعند تزاحم المفاسد يرتكب الأدنى دفعاً للأعلى، فالمفسدة الكبرى تدفع بالصغرى.
- الإسلام أغنى ما يكون عن المستكبرين الذين هم أهل النار، فليس في بقائهم على الكفر مفسدة تستحق أن يكون الثمن طرد أهل الإيمان من الضعفاء، كيف والفقراء والضعفاء هم أكثر أهل الإيمان عبر القرون.
- هذه الآية ترد على من يقدمون التنازلات لغير المسلمين، بدعوى الحرص على الدين والدعوة، وتقول لهم إن للدين رباً يحميه، وما عليكم إلا الاستقامة على منهج الله، ودعوتهم للإسلام، والله غالب على أمره، مع الحرص وبذل الجهد في هدايتهم دون تنازلات.

- هذا الإرشاد الرباني إشارة مهمة للعلماء والدعاة والمربين، كي يراعوا حال طلابهم وأتباعهم ويحفظوا عليهم قلوبهم ومشاعرهم، لا سيما من كان فقيراً أو رقيق الحال، فإنه يتأثر أكثر من غيره فلا ينبغي أن يكسر قلبه، لأمر ليس من كسبه، كنسبه وفقره ولونه وبلده.
- تضمنت الآية تصحيحاً لميزان القيم، فالميزان الصحيح، يقيس الإنسان بقيمته الحقيقية، وما في صدره من إيمان، وما يجيده من أعمال، لا بماله ونسبه وبلده ولونه.
- إن الله يصطفي للهداية من خلقه من يشاء، والضعفة والفقراء عندهم من لين القلوب ما ليس عند جل أهل المال والجاه، ولهذا كانوا جُلَّ أتباع الرسل، وفي بعض أهل المال خير عظيم وبذل وتضحية من أجل الدين.
- على المرء أن ينظر في قلبه فقد لا ينطق لسانه، لكنه في قرارة نفسه يقوِّم الناس ويفاضل بينهم بناء على مالهم أو جاههم أو قبيلتهم أو جنسيتهم، فليحذر الإنسان من ذلك.
- الصبر على طاعة الله أعلى أنواع الصبر، وبه تتم أنواعه: الصبر على المقدور، والصبر عن المعصية، والصبر على الطاعة، ولا ينجح داعية أو طالب علم إلا بالصبر الشامل.
- في الآية حث على إدامة طاعة الله آناء الليل وأطراف النهار، فلكل وقت طاعته وعبادته التي ينبغي اغتنامها.

- الغافل قد نهى الله عن طاعته، لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به، ودلت الآية على أن الذي ينبغي أن يطاع ويكون إماماً للناس من امتلأ قلبه بمحبة الله، ودعا الناس إلى ما منَّ الله به عليه[1].
- كثير من الناس أمورهم فوضى، وأوقاتهم ضياع، ويزداد الألم إذا كان من أهل الخير والصلاح، والأشد إذا كان من أهل العلم والدعوة وحياته فرطاً، دون تنظيم لوقته، أو ترتيب لأولوياته فيمضي العمر دون استثمار له: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ).
- التخيير بين الإيمان والكفر غير مراد على حقيقته، بل المراد التهديد والوعيد، فالمراد تخيير الناس بين الإيمان والكفر تهديداً لمن اختار الكفر، مع بيان غنى الله ﷻ عن العالمين.
- ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا﴾ في الآية تعريض بمن يضع الشيء في غير محله من التحاكم إلى موازين الجاهلية في تقويم الناس، وتحذير لهم.
- إضافة إعداد النار للجبار ﷻ فيها مزيد تهديد للظالمين، وبيان أنها نار عظيمة مهولة.
- ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ المراد أنه لا مخلص لهم ولا فرجة بالنظر إلى

---

(١)تفسير السعدي ١/ ٤٧٥ بتصرف يسير.

ما وراءها بل محيطة بهم من كل جانب[1]، والسرادق يكون في أهل الترف، فإثباته لدار العذاب استعارة تهكمية[2].

● ﴿وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ في الآية ذم لحالة النار، أنها ساءت المحل الذي يرتفق به، فليس فيها ارتفاق[3]، وشأن المرتفَق أن يكون مكان استراحة، فإطلاقه على النار تهكم[4].

● الاستهزاء بالكفار والتهكم بهم عذاب معنوي يزيد في عذابهم؛ جزاء لهم من جنس استهزائهم بالصالحين، فعوقبوا بمثل ذلك جزاء وفاقاً ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ [المطففين].

● في الآية بيان لمنهج الداعية ومهمته التي ينبغي القيام بها؛ وهي تبليغ وحي الله ﷻ للخلق، كما قال ﷺ: "بلغوا عني ولو آية"[5].

● التقويم الحقيقي لنتائج المعركة بين الحق والباطل، لا يكون على أساس مدة من الزمن لا تلبث أن تمضي، بل التقويم الحقيقي على ما يدوم ويبقى، فالانتصار الحقيقي في الدنيا لقيم الحق ومبادئه، فتبقى ثابتة لا تزول.

● أعظم انتصار يتمثل في الثبات على الحق، وعلى هذا، فلا ينبغي

---

(1) تفسير مفاتيح الغيب للرازي ١٠/ ٢٠٢ بتصرف واختصار.

(2) التحرير والتنوير ٨/ ٣٦٥ بتصرف واختصار.

(3) تفسير السعدي ١/ ٤٧٦ بتصرف واختصار.

(4) التحرير والتنوير ٨/ ٣٦٦ بتصرف واختصار.

(5) صحيح البخاري ٣/ ١٢٧٥ (٣٢٧٤).

أبداً لأصحاب الدعوات أن يقدموا تنازلات في الثوابت، نتيجة ما يتعرضون له من ضغوط، أو رجاء أن يستجيب الناس لهم أو أن يقبلهم الغرب والشرق.

- رفقاء النار هم الكفار والشياطين، فبئس الرفقاء هؤلاء، وبئس موضع الترافق النار، كما أنه نعم الرفقاء أهل الجنة، ونعم موضع الرفقاء الجنة[1]، وفي هذا بيان شؤم مجالس الأشرار وبركة مجالس الأخيار.
- ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ فالحق لا ينثني ولا ينحني، إنما يسير في طريقه قيماً لا عوج فيه، قوياً لا ضعف فيه، صريحاً لا مداورة فيه[2].
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وعمل الصالحات من الواجبات والمستحبات[3].
- ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ في الكلام إضمار أي لا نضيع أجر من أحسن منهم عملاً، فأما من أحسن عملاً من غير المؤمنين فعمله محبط[4]؛ لأنه عند التأمل لم يحسن عملاً؛ لفقد شرطي صحة العمل.

---

(1) تفسير مفاتيح الغيب للرازي ١٠/ ٢٠٣.

(2) في ظلال القرآن ٥/ ٦٢ بتصرف واختصار.

(3) تفسير السعدي ١/ ٤٧٥.

(4) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٤٣.

- **إحسان العمل:** أن يريدَ العبدُ العملَ لوجهِ الله، متبعاً في ذلك شرع الله، فهذا العمل لا يضيعه الله، ولا شيئاً منه، بل يحفظه للعاملين، ويوفيهم من الأجر، بحسب عملهم وفضله وإحسانه[1].
- **السندس:** صنف من الثياب، وهو ديباج رقيق يلبس مباشراً للجلد ليقيه غلظ الإستبرق. **والإستبرق:** الديباج الغليظ المنسوج بخيوط الذهب، يلبس فوق الثياب المباشرة للجلد[2]، ومعنى الغلظ في ثياب الجنة: إحكامه[3].
- قدمت التحلية على اللباس لأن الحلي في النفس أعظم، وفي القيمة أغلى، وفي العين أحلى، ويُلبسهم الحلي خدمُهم[4].
- أسند اللبس إليهم لأن الإنسان يتعاطى ذلك بنفسه خصوصاً إذا كان فيه ستر العورة[5].
- في الآية تسلية لضعفة المؤمنين الذين أراد مترفوا كفار قريش طردهم لما يجدونه من ريحهم ورثاثة ثيابهم، وفيه تعريض بأولئك المتكبرين المغترين بما هم فيه من نعيم زائل بما لا نسبة بينه وبين نعيم الجنة المقيم.
- ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ﴾ في اتكائهم على الأرائك، ما يدل على كمال

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٤٧٥.

(٢) التحرير والتنوير ٨/ ٣٦٨ بتصرف واختصار.

(٣) تفسير معالم التنزيل للبغوي ٥/ ١٦٩.

(٤) تفسير روح المعاني للألوسي ١١/ ٢٤٧ بتصرف واختصار.

(٥) تفسير روح المعاني للألوسي ١١/ ٢٤٧.

الراحة، وزوال النصب والتعب، وكون الخدم يسعون عليهم بما يشتهون"[1].

- يتكرر كثيراً في كتاب الله ﷻ مبدأ التربية بالثواب والعقاب، فيندر أن نجد آية وعيد منفردة عن آية وعد أو العكس، وما ذلك إلا لما جبلت عليه النفوس من تطلع إلى المكافأة، ومن عدم الارتداع إلا بالتلويح بالمعاقبة حيناً، والتصريح بها حيناً.
- من الدروس في أسلوب الوعد والوعيد البدء بإبهام ما يترتب على الطاعة والمعصية، لأن الإبهام يجعل النفوس تشرئب وتتطلع لمعرفة ما لكل من الفريقين، فإذا حصل هذا الاهتمام والتطلع جاء البيان.

قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف]

- انتقلت السورة بعد قصة الفتية إلى ذكر قصة هذين الرجلين رغم أن الكفار لم يسألوا عنها لحكم عظيمة اشتملت عليها كما سيأتي.
- من الحكم أن الكفار كانوا قد ألقوا أسماعهم لمعرفة جواب ما

(١) تفسير السعدي ١/ ٤٧٥.

سألوا عنه من شأن أصحاب الكهف، فكانت فرصة جيدة ليقرعها ما في هذه القصة من الحكم والمواعظ لعلهم يرجعون.

- في القصة تشبيه لحال المتكبرين الذين أرادوا طرد ضعفة المؤمنين بهذا الكافر المتكبر صاحب الجنتين، وتشبيه لحال ضعفة المؤمنين بحال صاحبه المؤمن ليعتبروا بما آلت إليه حال الكافر.
- في قصة الرجلين شبه بحال أصحاب الكهف مع قومهم، وكل هذا تأكيد أن العاقبة للمتقين.
- الأعناب من أشجار البلاد الباردة وتصبر على الحر، وهي فاكهة وقوت بالعنب والزبيب والخل وغيرها، والنخل من أشجار البلاد الحارة، وتصبر على البرد، وربما منعت عن الأعناب بعض أسباب العاهات، وثمرها فاكهة بالبسر والرطب وقوت بالتمر والخل، وفي هذا غاية البهجة والمنفعة[1].
- ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ أي: لم تنقص من أكلها أدنى شيء، ومع ذلك، فالأنهار في جوانبها سارحة، كثيرة غزيرة[2].
- دلت الآية على أن النقص ظلم؛ فنقص الرجل زوجه والعكس، ونقص الأب أولاده، والأولاد آباءهم، والمسؤول والمربي من ولاهما الله عليهم، كل هذا ظلم، ولو أن أي نقص وقع عددناه ظلماً فأصلحناه لتغيرت حالنا.

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ١٤٤ بتصرف واختصار.

(٢) تفسير السعدي ١/ ٤٧٦ بتصرف واختصار.

- من حكم الأمثال في القرآن أنها تصور المعاني بصورة الأشخاص، وفائدتها جمة؛ منها تقرير المراد، وتقريبه للعقل، وتصويره بصورة المحسوس[1]، والتذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير[2].
- لا بد من الإكثار من ضرب الأمثال للكبار والصغار تأسياً بأسلوب القرآن الكريم، وإذا كان الكبار بحاجة إلى تقريب المعاني والمعقولات بصورة المحسوسات فلا شك أن الصغار أشد حاجة لذلك، وأرسخ في عقولهم.
- من اللافت في القرآن كثرة ذكر النخيل والأعناب معا، لأن هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها، فذكَّر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم[3]، ولأن أكلهما لا يحتاج إلى عناية وإعداد كما تحتاج كثير من المأكولات.

---

(١) أبجد العلوم ٢/ ٤٩٢-٤٩٣.

(٢) تفسير السعدي ١/ ٣٤ بتصرف واختصار.

(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٢١.

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا (٣٦) ﴾ [الكهف]

- مع إيمان أحدهما وكفر الآخر وصف بالصاحب، فليست صحبة الإيمان، وإنما تعني المقارنة أو الاجتماع على أمر، ولا يلزم أن يرضى عن دين صاحبه، فلا ينبغي التسرع بتبديع من يصف المنحرفين بالأخوة، فربما أراد تأليف قلوبهم وأضمر ذلك، أو أخوة نسب أو بلد ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ ﴾، ﴿أَخَاهُمۡ هُودٗا ﴾، ﴿أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗا ﴾، وهكذا....
- يمتنع وصف الكفار بأخوة الإيمان، أو أنه لا فرق بيننا وبينهم، وغير ذلك مما يندى له الجبين من معان منتشرة اليوم، يروج لها العلمانيون والليبراليون وبعض المتنازلين والمفرطين بلا مسوغ من شرع صحيح أو عقل صريح.
- يفخر كثيرون بأموالهم وأولادهم وسلطانهم وجاههم، مع أن هذه الأمور ليست ذاتية بل خارجية، ويمكن أن تزول في طرفة عين، فلا ينبغي أن يفتخر بها المرء، وليست هي أسباب الرفعة والشرف.
- ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ ﴾ قال الطبري: (وظُلْمُه نفسه: كفره بالبعث، وشكه في الساعة، ونسيانه المعاد، فأوجب له بذلك

سخط الله وأليم عقابه)[1].

- من أسباب الطغيان، كثرة المال وسعة الأرزاق، ولئن كان طغيان الكافر مفهوماً لأنه لا يؤمن أن نعيمه ابتلاء ولا يؤمن بيوم الحساب فإن ما لا يمكن فهمه أن يطغى المسلم الذي علم ذلك يقينا﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق].
- إن المسلم العاقل المقبل على كتاب ربه وسنة نبيه تدبراً وفهماً، يدرك أن كل ما هو فيه من نعيم؛ من صحة وعافية، ومن سعة رزق وكثرة مال، بل حتى العلم والصلاح وغيره، إنما هو محض فضل من الله ﷻ، لا بفضله وعلمه، لذا كانت عاقبة قارون وخيمة عندما قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨].
- العطاء اختبار وابتلاء كما قال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء]، وليس دليل إكرام وتفضيل كما قد يظن كثير من الجهال.
- إن مما يؤسف له أن نرى كثيراً ممن وسع الله عليهم يتطاولون على إخوانهم الفقراء، وقد يكون لبعضهم مكانة عند الله يتمنى أولئك عشر معشارها ولو أنفقوا كل أموالهم.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٢٢.

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الكهف]

- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ أي خلقك مستوي الأجزاء، معتدل القامة والخلق، صحيح الأعضاء في أكمل صورة، وأحسن تقويم"[1].
- الأصل في الدعوة أن يبدأ الداعية باللين والنصح ولا ينتقل إلى غيره ما وجد إليه سبيلاً.
- ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ أي المتوحد بالكمال، فلا شريك له، وأفادت هذه الكلمة إثبات القوة لله وبراءة العبد منها، والتنبيه على أنه لا قدرة لأحد من الخلق إلا بتقديره، فلا يخاف من غيره"[2].
- قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده، فليقل: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة"[3].
- ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي عذابًا، وخصَّ السماء لأن ما جاء من

---

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ٣/ ٣٤٣.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ١٤٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٥/ ١٥٨.

الأرض قد يدافع، فلو جاءت سيول جارفة أو نيران محرقة تسعى وتحرق ما أمامها، يمكن أن تُدافع، لكن ما نزل من السماء يصعب دفعه أو يتعذر"[1].

- فيه جواز أن يدعو المظلوم على الظالم، وقد أجاب الله دعوة الرجل هنا، لكن العفو والصفح أفضل لا سيما إن كان الظلم يقع على من يعفو ولا يتعداه، وأفضل من الدعاء عليه أن يدعو له بالهداية والمغفرة وترك الظلم، فإن كان ولا بد؛ فعليك بدعوة الغلام (اللهم اكفنيهم بما شئت) فهو من أجمع الدعاء.
- المتأمل لكتاب الله ﷻ يجده مليئاً بذكر حوارات أهل الحق من النبيين والمؤمنين لأهل الباطل، مما يدل على أن الحوار منهج رباني، بشرط أن تنضبط بالأصول الشرعية.
- إذا كان الحوار منهجاً ربانياً، فإنه كذلك ضرورة بشرية لا يستغني عنها مجتمع مهما صغر، بل إن الإنسان لا غنى له عن الحوار مع نفسه التي بين جنبيه!.
- لقد أرسى القرآن أسس الحوار ومبادئه مع كل أصناف البشر، سواء كانوا مسلمين أو مشركين أو أهل كتاب، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل].
- من ضوابط الحوار الشرعية: تحديد الهدف الرئيس من الحوار،

[1] من تفسير سورة الكهف لابن عثيمين بتصرف واختصار.

وعدم تمييع الحق أو المزج بينه وبين الباطل، وضبط مدة الحوار لأنه عند أهل الحق ليس مطلوباً لذاته لكنه وسيلة لغاية.

- من الضوابط كذلك: إعلان نتيجة الحوار: فعندما لا يصل الحوار إلى الغاية المرجوة منه فلا بد من الوضوح والخروج بموقف قوي وبيان ظاهر لا يحتمل التأويل.
- ومن ضوابطه: اللين مع الصدع بالحق: لقد أرشد القرآن الكريم في غير آية إلى المجادلة بالتي هي أحسن، وإلى إلانة القول حتى مع أشد الناس كفراً وعتواً.
- على من يتصدى للحوار أن يحذر الوقوع في حبال التنازلات، فأعداء الأمة يسعون للحوار بزخم غير مسبوق، ليحصلوا في ميدان الحوار على ما عجزوا عنه في ميدان القتال.
- إن من أعظم ما بين الله في كتابه أصول الحوار، وأسلوبه، ومنهجه، فالدعوى التي يرددها البعض أن الإسلام لا يقبل الحوار دعوى فارغة لا تثبت، فالإسلام مع الحوار البناء، وليس مع تمييع المفاهيم وخلط الأوراق وإضاعة الحقيقة.

قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف]

- ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ أي أوقعت الإحاطة بالهلاك، بني للمفعول للدلالة على سهولته، فاستؤصل ما في السهل منه وما في الجبل، وما يصبر منه على البرد والحر وما لا يصبر[1].
- في الآيات درس عظيم وموعظة بليغة لمن آتاه الله شيئاً من النعم، ألّا تذهله عن موليها فينسى شكره، وألّا يركن إلى الأسباب المادية، فالأمر كله بيد الله، إن شاء أثمرت وآتت أكلها، وإن شاء عطلها فلم تغن عن صاحبها شيئاً.
- إن النفوس السوية قد جبلت على حب من يحسن إليها وعلى التعلق به، ولا أحد أكثر إحساناً وأشمل من الله ﷻ، فنعمه سبحانه وتعالى واصلة للخلق جميعاً، فكان لزاماً على المؤمنين أن يشكروا ربهم على ما أعطاهم.
- الشكر: يكون بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناء واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقياداً[2]، فمن أتى بهذه الثلاثة كان شاكراً ظاهراً وباطناً، فله بإذن الله دوام النعم وزيادتها ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ١٤٨ بتصرف واختصار.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٤٦.

لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

- إننا أحوج ما نكون إلى شكر الله على نعمه، ليرضى عنا أولاً، وليحفظ لنا نعمه ثانياً، وأعظم هذه النعم وأجلها هي نعمة التوحيد، وتستوجب أعلى درجات الشكر.
- ينبغي أن نتعاون جميعاً في وقف كل ما يعرض هذه النعم للزوال، وذلك بالاستمرار في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي السفهاء، وبتوعية الشباب ومناقشتهم وتوضيح الحقائق الشرعية بالأدلة والبراهين الساطعة.
- إن من أعظم المنكرات اليوم أن الذين يسبون الله ويتطاولون عليه أو يستهزؤون بشعائره، والذين يسبون الصحابة ويكفرونهم، صاروا في مأمن، فالتصدي لهؤلاء أكثر أهمية بلا ريب.
- ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ فمن كان مؤمناً به تقياً، كان له ولياً، فأكرمه بأنواع الكرامات، ودفع عنه الشرور والمثلات، ومن لم يؤمن بربه ويتولاه، خسر دينه ودنياه[1].
- تعرض قصة الرجلين والجنّتين، **نموذجين واضحين للنفس المعتزّة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله**، وكلاهما نموذجٌ إنساني لطائفة من الناس[2].
- كأن الله سبحانه يخبرنا في هذين النموذجين أن أموالنا وأولادنا

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٤٧٨ بتصرف واختصار.

(٢) في ظلال القرآن: ٥/ ٦٤.

زينة الحياة الدنيا، ولكن إذا شغلتنا عن حب الله سبحانه وتعالى انقلبت إلى فتنة[1].

- الفتنة طريق ذو اتّجاهين، إما أن يقودك إلى الفوز والفلاح والعتق من النيران، إذا كان موقفك من النعمة المسداة إليك هو الشكر والعرفان، وإما أن يقودك إلى الخيبة والخسران إذا كان موقفك هو الجحود والنكران.
- إن أصل النجاح في إدارة فتنة زينة الحياة الدنيا في المال والولد أن تستخرج منها الباقيات الصالحات ولهذا تنتهي قصة الرجلين بقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].
- **من أسباب السقوط في فتنة المال والولد:** الانشغال به عن عبادة الله تبارك وتعالى، وذلك بأن يشغله ذلك عن الصلاة، أو يمنعه عن إخراج الزكاة، أو الاستئثار بالمال دون المساكين والسائلين.
- من الأسباب كذلك: التعلق الشديد بالمال، فلا يراعي في سبيل تحصيله أمر الله، ولا يتحرى الحلال، فيستكثر من المال ولو حراما، وينفقه في مخالفة أمره.
- من دوافع الدُّخول في هذه الفتنة، ما تتميّز به الحياة الاقتصادية والتجاريّة -لا سيما في زماننا- من بعض الأمور الدقيقة المشتبهة، التي قلّما ينجو من الوقوع فيها أحد.
- من أسباب الفتنة بالمال: **التفاخر به**، فالاستعلاء بالمال داء عضال

---

(١) حب الفتنة لنبيل عطوة:١ بتصرف يسير.

عاقبته وخيمة وصاحبه هذا المتعالي ما هو إلا جاهل مغرور وبعد غد ستتكشف له الأمور.

- من أسباب الفتنة كذلك: **الإشراك في محبة الله**، فالأموال والأولاد إن كانوا أَحَبَّ إلى العبد من الله، فقد أشرك في محبته سبحانه[1].
- **من أسباب الوقاية من فتنة المال والولد:** إخلاص التوحيد لله فيقدم حبه على كل محبوب، والتبصر في آيات الله ومننه على المرء، والدأب في الشكر، وأن يستحضر قدرة الله عليه، فالذي أعطاه قادر أن يمنعه.
- من الأسباب أيضًا: أن يعلم أن التوبة والندم بعد العقوبة قد لا ترفع أثر العقوبة في الدنيا وإن نجا في الآخرة بتوبته إن قبلها الله، وأن يتخذ المرء قريناً صالحاً، يستمع إليه، ويصدر عن توجيهه الشرعي، ويستأنس برأيه.
- من ذلك: أن يحقق الإيمان باليوم الآخر، ويعلم أن الدنيا أيام معدودة، ثم المرد إلى الله، والعاقبة للتقوى، والتذكير بالآخرة وأهوالها، لئلا يغتر بزينة الحياة الدنيا الزائلة عما قليل.
- في القصة اعتبار بحال الذي أنعم الله عليه نعماً دنيوية، فألهته عن آخرته وأطغته، وعصى الله فيها، أن مآلها الانقطاع والاضمحلال، وأنه وإن تمتع بها قليلاً فإنه يحرمها طويلاً.

---

(١) حب الفتنة لنبيل عطوة:٧.

- ينبغي للعبد -إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده- أن يضيف النعمة إلى موليها ومسديها، وأن يقول: (ما شاء الله، لا قوة إلا بالله) ليكون شاكراً لله فيحفظ نعمته.
- في القصة: الإرشاد إلى التسلي عن لذات الدنيا وشهواتها، بما عند الله من الخير، وأن المال والولد لا ينفعان إن لم يعينا على طاعة الله.
- في القصة بيان بأن ولاية الله وعدمها إنما تتضح نتيجتها إذا انجلى الغبار وحق الجزاء، ووجد العاملون أجرهم[1].

قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف]

- بعد أن ذكر الله ﷻ مثل صاحب الجنتين عظة للكفار، ضرب للناس مثلاً عاماً يبين حقيقة الدنيا كي لا يغتر بها مغتر.
- قالت الحكماء: إنما شبه الدنيا بالماء لأن الماء لا يستقر ولا يبقى على حال واحدة، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحدة، والماء يذهب كذلك الدنيا تفنى.

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٤٧٧، بتصرف يسير.

- ومن أوجه الشبه كذلك: أن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ثم لا يبتل فيه كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها، والماء إذا كان بقدر كان نافعا، وإذا جاوز المقدار كان ضارا مهلكا، وكذلك الدنيا: الكفاف منها ينفع وفضولها يضر[1].
- هذا التشبيه يفيد أن المشبه والمشبه به، الدنيا والماء، إذا نزل وأثمر ثمرته، يمكث ما شاء الله، ثم يضمحل ويزول والعلم عند الله تعالى.
- في استعمال الفاء للدلالة على الترتيب والتعقيب، في عطف اختلاطَ نبات الأرض على إنزال الماء، نكتة لطيفة إذ يدل على سرعة انقضاء الدنيا ومراحلها، ونعيمها المسرع للزوال والاضمحلال.
- لا متاع في الدنيا يحقق سعادة البشر؛ لأن السعادة الحقيقية هي الدائمة التي لا زوال فيها ولا شقاء، وهذه تتحقق برضا الإنسان عن نفسه، وبطمأنينة النفس؛ وهذا لا يكون إلا في ظل الإيمان والإسلام.
- ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ ختمت الآية بذلك لبيان أثر الإيمان في عدم الانخداع بمظاهر الدنيا، وللإبقاء على صلة تلك النعم بالخالق دائمةً، وفاعلة؛ ليحصل الانتفاع بها، على وجوه الشرع، فيتحقق شكرُ الله المقتدر، فعلا مع القول.

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٤١٢ بتصرف يسير.

- ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ هذا ردٌّ على المشركين المفتخرين بالأموال والأولاد، فأخبر أن ذلك مما يُتزيَّن به في الدنيا، لا مما ينفع في الآخرة[1]، إلا إذا استعمل في طاعة الله.
- تقديم المال على البنين لأنه أسبق في الذهن، لأنه يرغَب فيه الجميع[2]، ومن الأسباب أن أحداً لا ينازع ماله، لكنه قد ينازع ابنه، ومن الناس من يهمل أولاده لانشغاله بالمال، وكثير منهم يخاطر بحياته من أجل المال.
- التحقيق أن "الباقيات الصالحات" لفظ عام، يشمل الصلوات الخمس، وغير ذلك من الأعمال التي ترضي الله: لأنها باقية لصاحبها غير زائلة، ولأنها أيضاً صالحة لوقوعها على الوجه الذي يرضي الله[3].
- ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ فالآمل في المال والبنين يأمل حصول أمر مشكوك فيه ومقصور على مدته. والآمل لثواب الأعمال الصالحة يأمل حصول أمر موعود به من صادق الوعد، وتحصل منه منفعة الدنيا والآخرة[4].
- تبين بهذين المثلين[5] وغيرهما أن الدنيا سريعة الزوال، وشيكة

---

(1) زاد المسير ٤/ ٢٢٨ بتصرف واختصار.

(2) التحرير والتنوير ٨/ ٣٨١ بتصرف واختصار.

(3) أضواء البيان ٣/ ٣٤٨. بتصرف.

(4) التحرير والتنوير ٨/ ٣٨١.

(5) الأول ما جاء في قصة صاحب الجنتين.

الارتحال، مع كثرة الأنكاد، ودوام الأكدار، فهي جديرة بالزهد فيها والرغبة عنها، وأن لا يفتخر بها عاقل فضلاً عن أن يكاثر بها غيره"[1].

- أعظم حائل بين المشركين وبين النظر في أدلة الإسلام انهماكهم في الحياة الزائلة ونعيمها، فحري بكل مسلم إذن أن يحذر ما حذر الله منه، فلا يجعل الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه، كي لا يفوته العلم الحقيقي الذي ينفعه.
- خلق الله الإنسان ورَكَز فيه الغرائز والشهوات، كحب الدنيا وحب الشهوات من النساء والبنين والأموال والجاه والسلطان، والإنسان أمام الغرائز إما أن يستسلم لها وإما أن يكبتها وإما أن يهذبها.
- الاستسلام أمام الغرائز لا يليق بالنفوس السوية، وهو انحدار إلى الحيوانية، والصواب أن الإنسان يجب عليه أن يهذب غرائزه.
- تهذيب الغرائز يكون بتعرف الإنسان على غرائزه لأن الناس تتفاوت فيها بينهم فإذا تعرف على غرائزه حاول تنمية الإيجابية، والسيطرة على السلبية، وهذا يكون بالمران والصبر.

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ١٤٩ بتصرف واختصار.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾

انتقل بالأسماع والأذهان إلى مشهد من مشاهد يوم القيامة، تذكيراً للمؤمن بما فيه من أهوال، مما يدفعه إلى مزيد من الأعمال الصالحات، وترهيباً لمن لا ينفعه خطاب العقل ويصر على الكبر والعناد.

- المتأمل في الخطاب القرآني فيما سبق يلاحظ تحولاً في الأسلوب من صيغة الغائب في قوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾، إلى صيغة المخاطب في قوله: ﴿جِئْتُمُونَا﴾، وهذا يرجح أن الخطاب في الأخيرة كلها للكفار.
- توجيه التوبيخ بضمير الخطاب أنسب للغرض، وأوقع في النفوس، وبه يزداد شعور المنكرين للبعث بالخزي، ويكون التوبيخ أكثر إيلاما.
- ﴿ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ لعل هذا من أشد المواقف على الكافرين والمجرمين قبل دخول النار، لما يترتب عليه من عذاب وخزي عظيم، فهم خائفون مما ينتظرهم، وقد كشفت أعمالهم، وأحصيت عليهم.
- ﴿يَا وَيْلَتَنَا﴾ نداء لهلكتهم من بين الهلكات، فإن الويلة كالويل الهلاك، ففيه استعارة مكنية تخييلية، وفيه تقريع وإشارة إلى أنه لا صاحب لهم غير الهلاك وقد طلبوه ليهلكوا ولا يروا العذاب

الأليم"[1].

●تقديم الصغيرة في الإحصاء للتعجب من إحصائها. وعطفت عليها الكبيرة لتعميم الإحصاء، لأن التعميم أيضاً يثير التعجب، فقد عجبوا من إحاطة الكتاب بجميع الأعمال"[2].

●﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ فيه تذييل بديع للآية، فهذا الإحصاء وإن كان لا يغادر مما فعلوه صغيراً أو كبيراً إلا أنه لا يثبت عليهم شيئاً لم يفعلوه ولو كان مقدار ذرة، والحساب على ما اقترفته أيديهم لا ظلم فيه.

●يتهاون كثير من الناس في الصغائر تهاوناً عظيماً، والنبي ﷺ قد لفت أنظار أمته إلى أهمية صغائر الأعمال سواء منها الصالحات أوَ السيئات.

●في آية الكهف وما أشبهها، تنبيه وتحذير لكل مكلف أن لا يستصغر ذنباً فيتجرأ على محارم الله، قال القرطبي: (كان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول: يا ويلتاه! ضجوا إلى الله تعالى من الصغائر قبل الكبائر)"[3].

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي ١١/ ٢٧٤ بتصرف واختصار.

(٢) التحرير والتنوير ٨/ ٣٨٤.

(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٤١٩.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الكهف]

- تنتقل الآيات من مشاهد القيامة، إلى مشهد موغل في القدم يوم خلق الله أبا هؤلاء البشر وأسجد له ملائكته، فيبين الله ﷻ مبدأ العداوة بين إبليس وذريته وآدم وذريته.
- المتأمل لهذه النقلة تظهر له نكتة بديعة، فما كان من صاحب الجنتين، وما كان من كل المجرمين المكذبين، كل هذا يبدو استجابة لعدو آدم وذريته إبليس، فجاءت الآيتان لتوقظا الغافلين عن هذه الحقيقة ولتذكرهم بأصل العداوة.
- نكتة أخرى، وهي المشابهة بين تكبر المشركين وصاحب الجنتين وتكبر إبليس، إذ أبى أن يسجد لآدم لما يراه لنفسه من فضل، وكذلك أولئك رأوا لأنفسهم فضلاً، فشابهوه في الفعل فناسب أن يذكرهم بما حصل في مبدأ الخلق.
- ﴿ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ بئس البدل للكافرين بالله اتخاذ إبليس وذريته أولياء من دون الله ، وهم لكم عدوّ من تركهم اتخاذ الله وليا باتباعهم أمره ونهيه، وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم، المتفضّل عليهم من الفواضل ما لا يحصى بدلا[1].

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤٤ بتصرف واختصار.

- عصى إبليس أمر الله عَجَّلَ وعصاه آدم عليه السلام، ولكن شتان بينهما، إن بينهم بعد ما بين السماوات والأرض.
- الفرق بين المعصيتين أن معصية آدم لم تكن عن عزم بل ضعف وذهول عن نهي الله، وأما إبليس فعن عزم وتصميم، وذلك لإصراره على المعصية بعد وقوعها، وتعليله لها، وعدم توبته.
- من الفروق أن معصية آدم كانت لشهوة إذ تطلعت نفسه للأكل من الشجرة التي منع، وكل ممنوع مرغوب، ومعصية إبليس لشبهة؛ فسهل على آدم عليه السلام أن ينزع ويستغفر، ولم يمكن إبليس هذا، فخطر الشبهات أعظم من الشهوات.
- من الفروق كذلك: أن آدم لم يكفر بذنبه، وكفر إبليس لأن في شبهته اعتراضاً على حكمة الله، وهذا قدح في أصل العبودية.
- ومنها: ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما: (إذا كانت خطيئة الرجل في كِبْر فلا تَرْجُه، وإذا كانت خطيئته في معصية فارجه، وكانت خطيئة آدم في معصية، وخطيئة إبليس في كبر)[1].
- ومنها: أن معصية آدم عليه السلام كانت بوسوسة من إبليس، وكانت معصية إبليس ذاتية سولتها له نفسه الخبيثة.
- ومن الفروق: أن معصية آدم عليه السلام لم تكن عن خبث بل عن طيب نفس، لهذا انخدع بقسم إبليس، وأما معصية إبليس فعن خبث وفساد طبع.

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ٤١.

- ومنها: أن معصية آدم عفوية لا ينفك عنها بنوه، قال ﷺ: "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"[1]، ومعصية إبليس قياس فاسد مقابل النص.
- بعد أن كان آدم عليه السلام في أعز جوار في جنة لا يجوع فيها ولا يعرى، ولا يظمأ فيها ولا يضحى، أهبط إلى الدنيا ليكد وينصب ويتعب، وفي هذا شؤم المعصية وخطرها.
- من فضل التوبة وبركتها أن الله فتح لخلقه أبواب الرحمة فوعدهم أن يعيدهم إلى الجنة إن هم وعوا درس المعصية الأولى واتخذوا ربهم ولياً وعدوه إبليس عدوا وشمروا عن ساعد الجد.
- معصية إبليس كفر، لأنها ردٌّ على الله، وهذا ناقض للإيمان القائم على ألوهية الله وحاكميته وحده، فليحذر الذين يتجرؤون على التخيُّر من أحكام الله، والانتقاء، فإنهم في الحقيقة يسيرون على خطى إبليس في الاستكبار.
- قيل إن طرد إبليس ولعنه إنما كان بسبب التأويل، فإنه عارض النص بالقياس وقدمه عليه، وفي هذا إغلاق باب التأويل الباطل والأقيسة الفاسدة.
- التفاضل يكون بالتقوى والعمل الصالح، وهذه حقيقة مقررة في الشرع، دلت عليها الآيات والأحاديث، فمن غفل عن هذه الحقيقة أو تغافل واتكأ على شرف أصله فلا يأمن أن يكله الله

(١) سنن الترمذي ٤/ ٦٥٩ (٢٤٩٩)، وحسنه الألباني.

إليه فتخونه أحوج ما يكون.

- أهمية الإخلاص، فإبليس كان مع الملائكة يوم أمروا بالسجود لآدم، وقد جاء أنه كان ذا علم وعمل وعبادة، لكنها لم تكن خالصة لله بل كانت ليصل بها إلى هذه المنزلة، ولو كان الأمر غير ذلك لانتفع بعلمه فلم يخالف الأمر الإلهي.
- أظهر الله فضل آدم ﷺ، إذ خلقه بيده، وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، ولو شاء الله لما ذكر ذلك ولقصر الكلام على معصيته، لكنه نشر فضله وأذاع شرفه، فحري بالعبد أن يقابل هذا الفضل بالشكر، وهذا الشرف بالحمد.
- من أعظم الفوائد في الآيات إدراك أصل عداوة إبليس ومداها، ولذا تعددت في القرآن، ليعرف الإنسان عدوه فيحذره، ولا يستبدل ولاية عدوه، بولاية خالقه ومن أسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ومن هو أرحم به من أمه وأبيه.
- من فقه المرء معرفة مداخل الشيطان، وأول هذه المداخل: الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله، والثاني: البدعة لأن ضررها في نفس الدين، وهو ضرر متعد، ولا يتاب منها.

والمدخل الثالث من مداخل إبليس: الكبائر، فهو أشد حرصا على أن يوقعه فيها، ولا سيما إن كان عالما متبوعا، لينفر الناس عنه، والرابع: الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها.

والمدخل الخامس: إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عاقبتها فوت الثواب، والسادس: أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل[1].

- ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾ المعنى: إني لم أشاورهم في خلقهن؛ وفي هذا بيان للغناء عن الأعوان، وإظهار كمال القدرة[2].
- المراد من نفي إشهادهم ذلك الإشعارُ بضآلة هؤلاء المضلين، الذين يُتَّخَذون من دون الله أولياء؛ فهم لم يشهدوا الخلق، فضلا أن يستشاروا أو يشاركوا فيها. وما داموا كذلك، فلا يستحقون الطاعة والخضوع.

قال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الكهف]

- أخبر الله أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين، ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون، وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٤٨٣-٤٨٥ بتصرف واختصار.

(٢) زاد المسير ٤/ ٢٣١.

خلاص لأحد منهم إلى الآخر[1].

●لما عاين المشركون جهنم حين جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، تحققوا لا محالة أنهم مواقعوها، ليكون من باب تعجيل الهم والحزن لهم، فإن توقع العذاب قبل وقوعه، عذاب ناجز[2].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف]

●تقرر الآيتان حقيقةً في طبيعة الإنسان، وانطباقها على الكافر أوضح؛ وهي كثرة الجدل، وهي مذمومة إن كان الجدال بالباطل وتكون أجدر بالذم عندما تقف عائقاً أمام الإيمان وبراهينه القاطعة.

●في تصريف الآيات والأمثال والعبر في القرآن حياة للقلوب وهداية للبصائر كما أنّ في تصريف الرياح حياة للأرض، ولهذا لا بد من تصريف الدروس والمواعظ لما في ذلك من حياة للقلوب

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ١٧٠ بتصرف واختصار.

(٢) تفسير ابن كثير ٥/ ١٧١ بتصرف واختصار.

بالإيمان.

- وصف الإنسان في الآية بأنه أكثر شيء جدلاً خرج مخرج الذم، إلا أن هذا لا يعني ذم الجدل بإطلاق، فقد ثبت الأمر بمجادلة المدعوين إن لزم الأمر، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].
- إن كان الجدال لإحقاق حق وإبطال باطل، أو لجلب مصلحة أو دفع مفسدة، فإنه ممدوح، وإن كان في المسائل التي تنفع الناس في دينهم ودنياهم، ما دام بعيداً عن النزعات والأهواء.
- على المسلم أن يكون حكيماً حصيفاً، فإن وجد أن الجدل سيُعرِّضُ ثوابتَ الدين، وواضح الأحكام للتنازع، أو سيكون لبعض الناس فتنة وربما تقع الشبهات في قلوبهم، أو خشي ألا يفهم الحاضرون، فالأولى ترك الجدل.
- ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ استخدم كلمة (الرب)؛ لأن الرب يرب العباد بالنعم، ويلزم منه أن يمتلئ القلب بمحبته والإقبال عليه، فكان في دعوتهم لاستغفاره صرف العبادة له وحده، وأن إيمانهم بالربوبية لا يكفي.
- كثير من المبطلين المكذبين، ليست معهم حجج بينة واضحة وإنما هي شبهات وتلبيسات، يلجأون إليها ليمتنعوا عن الإيمان.

قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الكهف]

- لا غاية من إرسال الرسل سوى إنقاذ الناس من الضلال، كلما ضلوا عن الفطرة وهي الإسلام؛ لكي يَحْيَوا حياة طيبة في الدنيا، وينجوا من عذاب الله في الآخرة؛ فينعم عليهم برضوانه وجناته.
- أهل الباطل يرومون إضعاف الحق وإزالته، وأنى لهم هذا، فليس للباطل طاقة على مقارعة الحجة بالحجة، إذ الحق واضح لا يمكن إزالته ولا إضعافه، وقصارى ما في وسع المبطلين التشويش عليه وصد أهله.
- ما يحصل اليوم في بعض وسائل الإعلام سعي حثيث لصد الناس عن الحق، فتراهم يكذبون ويفترون ويزينون الباطل، مع علمهم في قرارة أنفسهم ببطلان ما يفترون، ومهما فعلوا فإن الله ناصر دينه وممكن له في الأرض ولو بعد حين.
- على أهل الإيمان الثبات على الحق والعض عليه بالنواجذ، وعليهم بالصبر والمصابرة، والاجتهاد في الدعوة لهذا الدين والذب عنه، وأن يقارعوا أهل الباطل بالحجة والبرهان.
- شأن الكفرة المكابرين، حين يَعْجِزون عن مواجهة الحجج، تراهم يلوذون بأساليب أبعد ما تكون عن الاهتداء إلى الحقائق، من السخرية والاستهزاء؛ ليَخرجوا من جوِّ المحاجة إلى استثارة

النفوس نحو الهزْل والهُزء.

- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ الظلم هو وضع الشيء في غير محله تعدياً، وهؤلاء قد وظَّفوا ما آتاهم الله من نِعَم الحواس والعقل في عكس ما خُلقتْ له؛ فلم يهتدوا بها للتسليم بما يذكرون به فيؤمنوا.
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ليس المعنى أنهم لم يفهموه، ولم يسمعوه؛ ولكنهم لما عدلوا عنه، وصرفوا فكرهم عما عليهم في سوء العاقبة، كانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع"[1].
- في شأن الكفار جاء الخطاب بأسلوبُ الغَيْبة: (ذُكِّرَ) و(أَعْرَضَ) و(نَسِيَ) و(قَدَّمَتْ يداه)؛ ليشيء ذلك بغيابهم عن المشهد، وإهمالهم، كما دلَّ الفعلُ الماضي على الوقوع المحقَّق والانقضاء.
- لما توجه الخطاب إلى الرسول محمد ﷺ خاطبَه بالفعل المضارع وبِتاء الخطاب؛ تكريما واحتفاءً: (وَإِن تَدْعُهُمْ).

---

(١) زاد المسير ٢/ ٣١٥، تفسير سورة الأنعام.

قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف]

- جرى القرآن على عادته في تعقيب الترهيب بالترغيب والعكس، فلما رماهم بقوارع التهديد والوعيد، عطف على ذلك التعريض بالتذكير بالمغفرة لعلهم يتفكرون في مرضاته[1].
- في إضافة لفظ الربوبية "رَبُّ" إلى كاف الخطاب العائدة إلى النبي ﷺ -بأبي هو وأمي- تشريفٌ وتكريم له من وجهين؛ الأول: الإضافة، والثاني: التوُّجه له بالخطاب.
- ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾ بين في هذه الآية: أنه لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب كالكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب لشناعة ما يرتكبونه، ولكنه حليم لا يعجل بالعقوبة. فهو يمهل ولا يهمل[2].
- ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ الموئل: المنجى، وهو الملجأ في المعنى، لأن المنجى ملجأٌ[3].

---

(1) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٥٦ بتصرف واختصار.

(2) أضواء البيان ٣/ ٣٨٠ بتصرف واختصار.

(3) زاد المسير ٤/ ٢٣٤.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف]

- المقصود بالقرى أهلها لأن الظلم يقع منهم، فالإهلاك ناتج عن الظلم، ومُسبَّبٌ عنه، وهذا يدل على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا ينتشر الظلم فيعم العذاب، فيجب أن يطبّع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع حتى ينجو ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾[هود].
- من أنواع الظلم بطر النعم؛ قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص:٥٨] ونحن في بلدنا أنعم الله علينا بنعم كثيرة، وهذا يستلزم مزيداً من الشكر، لئلا نكون من أهل البطر فيحل علينا العذاب الأليم، وأعظم الشكر تحقيق التوحيد والقيام بأمر الله، وأداء حق المال.

تفسير الآيات من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٠-٨٢]

- ذكر قصة موسى والخضر عليهما السلام في هذا الموضع بين قصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين مع أن كفار قريش لم يسألوا عنها له دلالات عديدة ومناسبات:
- في القصة دليل على البعث؛ إذ أحيى الله الحوت بعد موته.

●في القصة منهج الانقياد للحق عند ظهوره وبيانه، وإرشاد لمن استنكف أن يجالس فقراء المؤمنين[1].

●لما كان إمهال الله ﷻ للكفار قد يوهم أنه رحمة بهم كما يرحم أولياءه، لفت ﷻ إلى أن العواقب ليست كما يظهر، ومثَّل بقصص موسى مع الخضر عليهما السلام في رحلتهما.

●هذه القصة مناسبة لما سبق من قصة آدم وسجود الملائكة وامتناع إبليس، ووجه المناسبة المقابلة والتضاد، فبخلاف فعل إبليس فعل موسى عليه السلام عندما وجد أعلم منه، تبعه وتواضع له، وعرف له قدره، مع أن موسى كليم الله.

●في القصة مناسبة لقصة ذي القرنين بعدها لأنها تشبهها بما حوته من تطواف في الأرض لغرض صالح، فكانت كالمقدمة لها.

●في هذه القصة تعريض بأهل الكتاب بأن الأولى أن يَدُلُّوا الناس على أخبار أنبياء بني إسرائيل.

●الخضر: لقب لهذا العبد الصالح، والراجح أنه نبي، مع خلاف قوي بين أهل العلم، ولكن في هذه الآيات ما يؤكد نبوته ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ كل هذا يؤكد أنه وحي وليس مجرد إلهام، والله أعلم، وذكر أهل العلم في اسمه أقوالاً لا يثبت منها شيء ولا فائدة لذكرها، وسبب التسمية جاء عن النبي ﷺ قال: "إنما سمي الخضر أنه جلس على

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ١٦٣ بتصرف واختصار.

فروة بيضاء[1] فإذا هي تهتز من خلفه خضراء"[2].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ سبب قول موسى عليه السلام لفتاه: أنه ذُكِر له أن عبدًا من عباد الله بمجمع البحرين، عنده من العلم ما لم يحط به موسى، فأحب الذهاب إليه، وقال لفتاه ذلك[3].

- ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ مراد موسى عليه السلام بهذا القول إظهار عزمه على بلوغ مراده والاجتماع بالعبد الصالح فلا يشغله شاغل وإن أنفق في ذلك الوقت الطويل.
- **فائدة:** سعى موسى عليه السلام للقاء الخضر لأن الله زكى له علم الخضر، فينبغي لنا أن نطلب العلم المزكى النافع في الدنيا والآخرة، وعلم الشريعة هو الذي زكاه رب العزة وأمر نبيه أن يستزيد منه.
- لقد كان من شأن الحوت ما يعجب له الناظر وتقر به عين المؤمن، ففيه **دليل جديد على البعث والنشور**، وفي هذا نكتة لطيفة، فمرة أخرى تصدم السورة كفار قريش بما كانوا يكرهون سماعه من إثبات البعث.

---

(١) قال الحربي: الفروة من الأرض قطعة يابسة من حشيش... وعن ابن الأعرابي: الفروة أرض بيضاء ليس فيها نبات، وبهذا جزم الخطابي ومن تبعه. فتح الباري ٦/ ٤٣٣.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٢٤٨ (٣٢٢١).

(٣) تفسير ابن كثير ٥/ ١٧٣ بتصرف واختصار.

● قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ فيه مسألة، وهو اتخاذ الزاد في الأسفار، رداً على الصوفية الجهلة، الذين يقتحمون المفاوز والقفار، زعما أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار، هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد)[١]، وأمر الله به عباده في الحج ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

● ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ العجب كان من موسى وفتاه لحال الحوت التي بينها يوشع ثم رأى موسى أثرها في الماء بعدُ، يدل عليه قول النبي ﷺ: "فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وكان لموسى وفتاه عجبا"[٢].

● **لطيفة:** فقد الحوت كان أمراً مكروهاً ليوشع عليه السلام لأن مهمته كانت الحفاظ عليه، لكنه علامة لقي العبد الصالح، فقد يكون فيما يكره الإنسان خيرًا كثيرًا فالإنسان لا يعلم. والله يعلم. المهم ألا يفرط فيما وكل إليه.

● العلم اللدنِّي هو ثمرة العبوديَّة والمتابعة والصدق والإِخلاص لله، وبذل الجهد في تلقِّى العلم من المشكاة المحمدية والكتاب المجيد، وكمال الانقياد له. فيُفتح له من فهم الكتاب والسنَّة أَمر يُخَصّ به " إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ وَإِنَّهُ إِنْ

---

(١) تفسير القرطبي ١١/ ١٣ بتصرف يسير.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٥٦ (١٢٢).

كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ"[1].

- يشترط العمل اللدني الرباني ألا يخالف الكتاب والسنة، وأن يُعرف صاحبه بالصلاح وحسن السيرة، لا كما يدعي الدجالون المشعوذون، فيأتون بالمنكرات والأوابد ثم يقولون هذا العلم اللدني!! وليس فيه إضافة لشريعة الله، وإنما هو فهم واستنباط من أدلة الكتاب والسنة على أصول صحيحة.
- ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ هذا سؤال الملاطف والمخاطب المبالغ في حسن الأدب، والمعنى: هل يتفق لك ويخف عليك أن تأذن لي في مرافقتك[2].
- زاد موسى عليه السلام في التلطف بأنه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان، بل جوامع منه يسترشد بها إلى باقيه فقال: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾.
- وبناء الفعل للمفعول لعلم المخاطبين أن الفاعل هو الله، وللإشارة إلى سهولة كل أمر على الله ﷻ.
- أتى عليه السلام بهذه الأنواع من الآداب والإبلاغ في التواضع لرسوخه في العلم، لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر، كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد،

---

(١) صحيح البخاري:ج٣/ ص١٢٧٩ ح٣٢٨٢ .

(٢) معاني القرآن ٤/ ٢٦٧.

فكان تعظيمه لأرباب العلوم أكمل[١].

- ﴿ قَالَ ﴾ الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ أي: لا تقدر أن تصاحبني لما ترى من الأفعال التي تخالف شريعتك؛ فكل منا مكلف بأمور من الله دون صاحبه، وأنت لا تقدر على صحبتي[٢].
- ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ في الآية جواز أن يشترط العالم على تلميذه ما يشاء إن أراد مصاحبته بما ليس بمحرم، وكذلك كل رفقة في سفر أو غيره يجوز فيها الشرط على ما سبق.

قوله تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) ﴾ [الكهف]

- الإمر بالكسر: العظيم المفظع، ومقام الأنبياء في تغيير المنكر مقام شدة وصراحة. ولم يجعله نُكراً كما في الآية بعدها لأن الذي عمله الخضر ذريعة للغرق، ولم يقع بالفعل[٣].
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا ﴾ يظهر أن الضيافة كانت عليهم

(١) نظم الدرر ٥/ ١٦٩ بتصرف واختصار.

(٢) تفسير ابن كثير ٥/ ١٨١ بتصرف واختصار.

(٣) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٧٥ بتصرف واختصار.

واجبة، وأن الخضر وموسى إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الأليق بحال الأنبياء، ومنصب الفضلاء والأولياء[1].

- قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي: كل سفينة صالحة، قال الخضر: إنما خرقتها، لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ورقعها أهلُها فانتفعوا بها[2]، فبين أن قصده بخرقها سلامتها لأهلها من أخذ ذلك الملك الغاصب.
- ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ قال قتادة: قد فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب[3].
- لا شك أن قتل الغلام لم يكن بمحض رأي الخضر، بل كان بأمر الله، فالله ﷻ أراد موت الغلام، فقتل الخضر له، سبب أوجده الله لنفوذ مشيئته، وهذا يؤكد ترجيح نبوة الخضر.
- قال القرطبي: (يستفاد من الآية تهوين المصائب بفقد الأولاد وإن كانوا قِطَعاً من الأكباد، ومن سلم للقضاء أسفرت عاقبته عن اليد البيضاء)[4].

---

(١) تفسير القرطبي ١١/ ٢٤ بتصرف واختصار.

(٢) زاد المسير ٤/ ٢٤٤ بتصرف يسير.

(٣) تفسير ابن كثير ٥/ ١٨٥ بتصرف واختصار.

(٤) تفسير القرطبي ١١/ ٣٨.

- ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ لعل التعبير عنها بالمدينة هنا لإظهار نوع اعتداد بها[1]، فالكلام الأول كان في معرض الذم للؤم أهلها وبخلهم فاكتفي بتسميتها قرية، فلما ذكر الأب الصالح وروعي وجود ولديه فخمت وعبر عنها بالمدينة وهذا من لطائف التعبير.
- ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ دليل على حفظ الرجل الصالح في ذريته، وبركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم في الجنة لتقر عينه بهم[2].
- بركة صلاح الآباء تظهر على الأبناء، فإقامة هذا الجدار للغلامين من شكر الله تعالى لأبيهما الصالح، إذ ساق عبده الخضر في مهمة خاصة ليتعهد ذريته بعد موته ويصلح شأنهما، فلا تخف على أبنائك من بعدك إذا قمت بأمر الله، فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين.
- ذكر العلماء أن كل ما أنكره موسى وقع له مثله، ففي خرق السفينة مشابهة لإلقاء أمه له في اليم، وفي قتل الغلام مشابهة لقتله القبطي عندما استنصره رجل من قومه، وفي إقامة الجدار، مشابهة لسقي الغنم للفتاتين دون أجر[3].

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي ١١/ ٣٦٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٥/ ١٨٦-١٨٧ بتصرف واختصار.

(٣) العزف على أنوار الذكر لمحمود توفيق محمد سعد ص٦٧ بتصرف واختصار، والبحر المديد لابن عجيبة ٣/ ٤٢٦ بتصرف واختصار.

- ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ قال القرطبي: أضافه إلى نفسه رعاية للأدب، فلا يضاف إليه سبحانه من الألفاظ إلا ما يستحسن[1].
- أسند الخضر الإرادة في قصة الجدار إلى الله تعالى دون القصتين السابقتين لأن العمل فيهما كان من شأنه أن يسعى إليه كل من يقف على سره لأن فيهما دفع فساد عن الناس بخلاف قصة الجدار فتلك كرامة من الله لأبي الغلامين[2].
- **فتنة العلم هي الفتنة الرئيسة الثالثة في السورة**، والعلم يكون فتنة بواحد من أمرين أو بهما؛ أوّلهما أن يطغيه فيرى لنفسه فضلاً، وثانيهما أن يعمل بخلاف ما يعلم أو يحتال بعلمه ليصل لما يريد فيكون العلم حجة عليه ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة].
- أعظم وقاية من فتنة العلم هي الإخلاص، بأن يريد المرء بعلمه وجه الله ﷻ ورضاه.
- علم الخلائق ضعيف وقاصر وناقص، وعلم الله تعالى تام كامل، وقد بين الخضر هذه الحقيقة لموسى عليه السلام، وفي هذا درس بليغ لمن يغتر بعلمه أو يظن أنه أوتي علماً لم يؤته غيره ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].
- يستحب للعالم أن يتخول الناس بالموعظة ويذكرهم بأيام الله

---

(١) تفسير القرطبي ١١/ ٣٩ بتصرف واختصار.

(٢) التحرير والتنوير ١٦/ ١٤. بتصرف.

ونعمه، كما في الحديث: "بينما موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بأيام الله وأيام الله نعماؤه وبلاؤه"[1]، فكانت هذه الموعظة مبدأ القصة والرحلة العظيمة.

- للوعظ أهمية كبيرة في تذكير الغافلين ورد العصاة تائبين عابدين، فكم أحيا الله به من قلوب تخالها ماتت، ومن العجيب أن نرى بعض طلاب العلم يترفعون عن الوعظ، بل يتأففون من وصفهم بالوعاظ، مع أن أجل من وعظ هو رب العزة ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ [النور: ١٧]، ورسول الله واعظ: "وعظنا رسول الله"[2].
- حياة الإيمان لا تستقيم إلا بالوعظ وتحريك القلوب، وإنما ذم السلف القُصَّاص الذين زادوا وانتحلوا قصصاً مكذوبة، وأما الكتاب والسنة والقصص الواقعي الذي فيه عِبَر فهو محمود مطلوب وقد فعله الأنبياء والصالحون والعلماء.
- ينبغي للعالم أن يخفض جناحه لطلابه، فلا يُرى إلا متواضعًا ليبلغ إليه كل أحد، وإذا سئل عن علمه يرد الفضل إلى الله ولا يرى من نفسه أنه أعلم الناس.
- في القصة بيان لفضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسى عليه السلام –وهو كليم الله ومن أولي العزم– عندما علم أن

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٨٤٧ (٢٣٨٠).

(٢) أخرجه: أبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٣)، والترمذي (٢٦٧٦)

من عباد الله من هو أعلم، بادر بطلب لُقِيِّه للاستفادة، فخلد ذكره في القرآن، ليكون منهجًا ربانيًا.

- من فوائد القصة التنبيه على البداءة بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم، أهم من ترك ذلك والاشتغال بالدعوة، والأكمل هو الجمع بين الأمرين.
- يستحب للمسافر في طلب العلم أو سفر طاعة أن يشد عزم رفيقه ويظهر له جلده في السفر وعزمه على بلوغ مقصوده، واحتمال المشقة مهما كانت، ويتضح هذا في قوله لغلامه: ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾.
- إذا عزم الإنسان على أمر وأخذ أهبته له فعليه أن يمضي إلى منتهاه ليحقق المرجو مهما طال الزمن وعظمت المصاعب، قال موسى عليه السلام: ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾، إلا إذا طرأ طارئ أو بدا له ما هو خير، أو حال دون ذلك حائل.
- إخفاق بعض المشاريع يرجع إلى هذه الآفة؛ قصر النفس وضعف الهمة وعدم المثابرة.
- المسافر لطلب علم أو جهاد أو نحوه، إذا اقتضت المصلحة الإخبار بمطلبه، وأين يريده، فإنه أكمل من كتمه، ففي إظهاره فوائد من الاستعداد، وإتيان الأمر على بصيرة، وإظهارًا لشرف هذه العبادة، دون أن يقصد رياءً أو سمعة.
- العلم الذي يعلمه الله لعباده نوعان: مكتسب يدركه العبد باجتهاده، ولدني، يهبه الله لمن يمن عليه لقوله: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾، وقد يكون وحياً أو إلهاماً.

- على العالم إن رأى في التغليظ ما يفيد نفعاً وإرشاداً إلى الخير كان عليه ذكره، فإن السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور، وذلك يمنعه من التعلم[1].
- التأدب مع المعلم، وخطابه ألطف خطاب، لقول موسى عليه السلام: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ مع أنه قطع مسافة طويلة ولقي مشقة كبيرة لصحبة الخضر.
- إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها لقوله: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ﴾ أي: مما علمك الله تعالى.
- العلم النافع هو المرشد إلى الخير، فكل علم يهدي لطرق الخير، ويحذر من الشر، أو كان وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك، فإما ضار، أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾.
- من ليس له صبر على صحبة العالم والعلم، والثبات على ذلك، يفوته كثير من العلم فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن صبر أدرك، لقول الخضر يعتذر لموسى بذكر المانع في الأخذ عنه: إنه لا يصبر معه.
- أكبر سبب لحصول الصبر، إحاطة الإنسان علما وخبرة بالأمر الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فما لا يدريه، أو لا يدري غايته، ولا فائدته وثمرته لا سبب عنده للصبر.

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ١٦٩ بتصرف يسير.

- التأني والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء، حتى يعرف المقصود كي لا يقع في الخطأ.
- المعلم إذا رأى المصلحة في نصح المتعلم أن يترك السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون هو مَن يوقفه عليها، فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصراً، أو نهاه عن الدقيق من الأشياء التي غيرها أهم منها.
- الرفق بالعلماء، فالخضر طلب من موسى أن يصبر ولا يبادر باستشكاله، وكان الصحابة لا يلحون على النبيﷺ بالأسئلة إجلالاً ومهابة، وكي لا يشقوا عليه ولهذا كانوا يفرحون إذا جاء أعرابي يسأل.
- رفق العالم بتلاميذه ببذل العلم ولو لم يسألوه لأنهم إنما صحبوه لينهلوا من علمه، ولهذا بين الخضر لموسى علة ما فعل دون أن يسأله، حتى لا يفارقه وفي نفسه شيء قد يشغله.
- لما عرف أصحاب السفينة الخضر لم يأخذوا أجرة، ففيه إكرام أهل العلم والفضل والصلاح، وهكذا ينبغي أن يكون الناس، وفي قبول ذلك دليل على جوازه ما لم يكن عن سؤال أو تشوف، وما لم يكن فيه منة، وهو أشبه بالهدية.
- اعتذار المعلم عن تلميذه إذا بدر منه أمر لا يرضى عنه تطييباً لخاطره، وذلك قول الخضر: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف]، كأنه يقول إن مخالفته كانت لأمر قاهر لم يكن له رده.
- ما سبق من فوائد مع الإخلاص يعين العالم والمتعلم على النجاة

من فتنة العلم، إذ يتم بها ضبط الخطوات في طريق العلم، كي لا تزل قدم بعد ثبوتها، وكي لا تتفرق بالطالب السبل فيضل عن سبيل الله.

- في القصة استحباب كون خادم الإنسان ذكياً فطناً كيساً، ليتم له أمره الذي يريده، ولهذا انتقى موسى يوشع ليكون رفيقه، وأنعم به من رفيق.
- استحباب التواضع والرفق ورحمة الخدم، فموسى عليه السلام أكل مع فتاه، وعدَّه شريكاً له في كل شيء، فأخبره عن جهة المسير وقال: (آتنا غداءنا) (لقد لقينا) (ذلك ما كنا نبغ)، ولم يكلفه ما لا يطيق، بل حمله المكتل فقط.
- إضافة الشر وأسبابه إلى الشيطان، على وجه التسويل والتزيين، وإن كان بقضاء الله وقدره، لقول يوشع: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾.
- المعونة تنزل على العبد بحسب قيامه بالمأمور، والموافق لأمر الله، يعان ما لا يعان غيره لقوله: ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾ إشارة إلى السفر المجاوز لمجمع البحرين؛ وأما الأول، فلم يشتك منه التعب مع طوله، لأنه هو المأمور به.
- تعليق الأمور المستقبلية من أفعال العباد بالمشيئة، وأن لا يقول الإنسان للشيء: إني فاعل ذلك في المستقبل، إلا أن يقول {إِنْ شَاءَ الله}.
- "يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير"، ويراعى أكبر

المصلحتين بتفويت أدناهما وهذه قاعدة جليلة، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما، أعظم شراً.

- من القواعد الكبيرة أيضاً أن عمل الإنسان في مال غيره، على وجه المصلحة وإزالة المفسدة، يجوز ولو بلا إذن ولو ترتب عليه إتلاف بعضه، كما خرق الخضر السفينة لتعاب فتسلم من الغصب.
- استعمال الأدب مع الله في الألفاظ، فإن الخضر أضاف عيب السفينة لنفسه: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وأضاف الخير لله في قصة الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾.
- أنه ينبغي للصاحب أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال، ويترك صحبته، حتى يعتبه، ويعذر منه، كما فعل الخضر مع موسى.
- أن موافقة الصاحب لصاحبه، في غير الأمور المحذورة، مدعاة وسبب لبقاء الصحبة وتأكدها، كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة.
- في الآيات أن المكلف بعمل لا يؤخره عن وقته، لأن في تأخيره تفويت مصلحة من توقيته غالبًا، فتأمل لو تأخر الخضر عن ركوب السفينة أو دخول القرية، لربما أخذ الملك السفينة، أو انقض الجدار وأخذ الكنز.
- يجب التسليم لله في دينه، ولرسوله في سنته وبيانه لكتاب ربه، واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك الحكمة في ذلك، فإنه محنة

من الله لعباده، واختبار ليتم البلوى عليهم. ولمخالفة هذا ضل أهل البدع حين حكموا عقولهم"[1].

- المنكرات تتفاوت في درجاتها، وبحسب تفاوتها تتفاوت شدة الإنكار، فموسى ﷺ وصف خرق السفينة بـ (إمرا)، ووصف قتل النفس بـ (نكرا)، والثاني أشد لأن القتل أشنع.
- الرفق بالصاحب واحتمال ما يصدر منه من أخطاء، فالخضر لم يفارق موسى ﷺ من أول مرة، بل صبر مرتين وفارقه في الثالثة، بل إن موسى هو مَن بادَر بذلك حتى لا يحرجه ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف].
- تعليل الأحكام مبدأ عظيم له أثر كبير في النفوس، فإن موسى ﷺ لم يصبر لأنه لم يعرف العلة، فلما علم اطمأنت نفسه وسلم، وكذلك ينبغي للقائد أو الزوج أو المربي أن يبين علة قراراته ما وجد سبيلا، فإنه أدعى للقبول.
- بركة الصلاح تنال صاحبها وتنال ذريته، فقد حفظ الله الوالدين بصلاحهما من شر ابنهما، وحفظ اليتيمين بصلاح والدهما.
- ما يقضيه الله على عبده المؤمن كوناً وشرعاً كله خير، فقتل الغلام آلم والديه وأحزنهما لكنه خير لهما، وما داما مؤمنين فسوف يتعاملان مع القدر الكوني بالقدر الشرعي وهو الصبر وهو خير.
- لم يجابه الخضر الملك الظالم ولم يحاول الإنكار عليه، وبدل ذلك

---

(1) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ٢٠٠ بتصرف واختصار.

خرق السفينة، وهذا يدل على أنه توجد حالات لا يمكن أن يزيل المؤمن فيها كل المنكر أو يغيره بيده، فيكتفي حينها بالأنسب والممكن، دون دخول في معركة لا تعرف نتيجتها.

- استحباب العناية بأولاد الصالحين كما أقام الخضر الجدار لليتيمين إكراماً لصلاح والدهما، فيستحب تفقدهم وحل مشاكلهم وإعانتهم لا سيما إن كانوا يتامى.
- أهمية العمل الاجتماعي، ومشاركتهم في شؤونهم، ومساعدتهم في حل مشكلاتهم، ودفع الأذى عنهم كما فعل الخضر.

تفسير الآيات من: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ إلى: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ [الكهف: ٨٣-٩٨].

- مناسبة الآيات لما قبلها أنه: لما فرغ من قصة طواف الأرض لطلب العلم، عقبها بقصة مَن طاف الأرض للجهاد، وقدَّم الأولى لعلو درجة العلم[١].
- جعل خبر ذي القرنين تلاوة وذكراً لأن المهم من أخباره ما فيه تذكير وما يصلح للتلاوة حسب شأن القرآن فإنه يتلى لأجل الذكر ولا يساق مساق القصص[٢]، فالجهاد تابع للعلم الشرعي، وإلا فقد يكون جهاداً في الباطل.

(١) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ١٧٨ بتصرف واختصار.

(٢) التحرير والتنوير ١٦/ ٢٣ بتصرف واختصار.

- الراجح من أقوال المفسرين: أن ذا القرنين لم يكن نبياً ولكن كان ملكاً صالحاً من أولياء الله، وهو اختيار شيخ الإسلام.
- المنهج القرآني يطوي في أحيان كثيرة ذكر الأشخاص، ويظهر الخصال والأوصاف التي يدعو إليها ويرغب فيها، أو العكس، فالتسمية وتركها والقص وتركه بحسب الثمرة والعبرة، لذا قال: ﴿سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ وليس كل ما سألوا عنه مما لا حاجة إليه.
- يستفاد من عدم ذكر الأسماء أن الأفعال هي التي تبقى بعد طي ذكرك وذهاب اسمك، وأنه لا تعلق بالأشخاص في الدين، لكن العبرة بالأفعال، فما وافق شرع الله ودينه أشيد به ودعي للأخذ به وما خالفه رد.
- ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ أمة عظيمة من بني آدم، ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ مكنه الله منهم وحكمه فيهم، وأظفره بهم وخيره: إن شاء قتل وسبى، وإن شاء منّ أو فدى. فعرف عدله وإيمانه فيما أبداه عدله وبيانه[1].
- كان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح، لتوفيق الله له لذلك، فقال: سأجعلهم قسمين... وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين، العادلين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد بما يليق بحاله[2].

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ١٩٣ بتصرف واختصار.

(٢) تفسير السعدي ١/ ٤٨٥. بتصرف

● ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ لأن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، ولا تحتمل بناء، فيسكنوا البيوت، وإنما يغورون في المياه، أو يسربون في الأسراب[1][2].

● ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ هما جبلان متناوحان بينهما ثُغْرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، فيعيثون فيهم فسادًا، ويهلكون الحرث والنسل[3].

● **فائدة:** الفقه يشمل العلم والفهم، وكثير من الناس عندهم علم ولكن لا فقه لهم، وإن علماً قليلاً بفقه وعمل، أفضل من كثير بلا فقه ولا عمل.

● يظهر من شكاية القوم من يأجوج ومأجوج أنهم تأذوا منهم أذىً شديداً لم يجدوا دفعاً له سوى بناء السد بينهم وبين يأجوج ومأجوج، فطلبوا ذلك من ذي القرنين.

● ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ عن ابن عباس: أجرًا عظيمًا، أرادوا أن يجمعوا له مالاً يعطونه إياه، حتى يجعل بينهم وبينهم سدًا. فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾[4].

---

(1) جمع سرب، قال ابن منظور في لسان العرب ١/ ٤٦٢: حَفِير تحتَ الأَرض وقيل بَيْتٌ تحتَ الأَرضِ.

(2) تفسير الطبري ١٨/ ٩٩ بتصرف واختصار.

(3) تفسير ابن كثير ٥/ ١٩٥.

(4) تفسير ابن كثير ٥/ ١٩٦ بتصرف يسير.

● ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ الردم: حاجز الحائط والسدّ، إلا أنه أمنع وأشدّ[1]، وقيل: الردم أبلغ من السد، إذ السد كل ما يسد به، والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه، ليقوم منه حجاب منيع[2].

(١) تفسير الطبري ١٨/ ١١٣ بتصرف واختصار.

(٢) تفسير القرطبي ١١/ ٥٩ بتصرف واختصار.

لطائف قرآنية
في استخدام لفظ الاستطاعة

- نجد في قصة الخضر مرة (تستطع) وفي الثانية (تسطع)، وفي قصة ذي القرنين مرة (اسطاعوا) وفي الثانية (استطاعوا)، وقد استخرج العلماء من هذا التغاير عدداً من اللطائف الجديرة بالتأمل:
- لما فسر الخضر لموسى الأمر وأزال المشكل قال: ﴿مَا لَمْ تَسْطِع﴾ وقبل ذلك كان الإشكال ثقيلا فقال: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف.
- وفي قصة ذي القرنين قال: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ وهو الصعود إلى أعلاه، ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف]، وهو أشق، فقابل كلا بما يناسبه لفظًا ومعنى"[1].
- في قصة الخضر، لما كان موسى محتاجاً لمزيد صبر على الإنصات للخضر لِيَعْلَم عِلَّة فِعْله أثبت التاء بقوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف]، ولما علم العلة حذفها.
- كذلك فإن الخضر بعد أن أنهى تعليل أفعاله كان يريد متابعة الانطلاق في رحلته بلا تأخر فناسب حذف التاء، وهذا كله متسق مع قاعدة "زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى"، والله أعلم.

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ١٨٨ بتصرف واختصار.

- ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ وكان وعد ربي الذي وعد خلقه في دكّ هذا الردم، وخروج هؤلاء القوم على الناس، وعيثهم فيه، وغير ذلك من وعده حقاً، لأنه لا يخلف الميعاد فلا يقع غير ما وعد أنه كائن[1].
- من الفوائد في قصة ذي القرنين: أن الأولى الاقتصار على ما جاء في القرآن والسنة لمعرفة حقيقة القصص المذكورة، لأن التأخير عن وقت البيان لا يجوز، فلو كان لذكرها حاجة لذكرها.
- أسلوب السؤال والجواب ورد لأغراض متعددة؛ فمنه ما يكون للتعلم، فهذا من أفضل وأنفع وسائل التعليم، ومنها ما يكون للإنكار، ومنه ما يكون للتحدي، فقبل النبي ﷺ التحدي، وهو أسلوب مهم لبيان صدق الداعية.
- في قوله: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ دليل على ضرورة العلم بالشيء قبل الدعوة إليه.
- أن الثناء على الحاكم لا يكون بمجرد شجاعة أو فتوح أو عمارة أو تمكين، فقد مكن الله ﷻ لكثير من الأمم ثم أخذهم بذنوبهم، فلا بد أن ينضم إلى ما سبق الإيمان بالله واليوم الآخر، وتحقيق العدل، وبخاصة أن القوة والملك قد تخرجان عن العدل وتدعوان للطغيان ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ⁽٦⁾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ⁽٧⁾﴾ [العلق].
- قصة ذي القرنين تشحذ همة المؤمن وتعلي منها، إذ سعى وجدّ

(١) تفسير الطبري ١٨/ ١٢٠ بتصرف يسير.

واجتهد حتى بلغ حيث انتهت طاقته، ولم يفرط في شيء مما أوتيه من أسباب، وأثّر بفكره ومبادئه على أهل الأرض، وصار ملجأً للمظلومين، ومأمناً للخائفين.

- لقد حجز ذو القرنين يأجوج ومأجوج خلف السد لإفسادهم في الأرض، وكذلك ينبغي لولاة الأمر أن يحجزوا المفسدين في الأرض، الذين يخربون على الناس دينهم بالشهوات والشبهات ويضيقوا عليهم، والحذر من الحجر على المصلحين والدعاة.
- بناء الردم نعمة عظيمة على القوم الذين طلبوا بناءه، ثم على كل من جاء بعدهم إلى يومنا هذا، إلى وقت خروج يأجوج ومأجوج، وهذه النعمة كغيرها تستحق شكر المنعم سبحانه، كما يستحق ذا القرنين الدعاء له من أجلها.
- عدم الركون إلى الحياة الدنيا وزينتها: إذ لما اكتمل بناء السد، ونظر ذو القرنين إلى دقته ومتانته، لم يصرفه ذلك عن الآخرة بل علم أن لهذا البنيان العظيم نهاية ككل شيء على الأرض، فذكر نفسه ومن حوله بذلك.
- إذا اخترنا عدم المواجهة مع العدو في معارك غير متكافئة، فلنا في هذا الملك أسوة، فإنه عمل ما يكف شرهم، والمدار على القدرة. لكن علينا في المقابل تقليل ضرر العدو، ببناء العقيدة والتوحيد وإعداد العدة المادية والمعنوية، وإشاعة العدل، وأداء الحقوق لأهلها، وعدم استغلال حاجات الناس، وفي ذي القرنين أسوة لعفة النفس والعدل.

- إن من أعظم أسباب النجاة من الفتن الملك الصالح الذي يحكم بالحق والعدل ويكف أيدي المفسدين والمضلين، ويحكم بشرع الله، فيحمي التوحيد ويحمي الناس من فتن الدنيا، فلهذا كان إقامة الحاكم الصالح من أوجب الواجبات.
- الحكم والسلطان والتمكين ينبغي أن يسخر لتنفيذ الشرع، وإقامة العدل، وتيسير الأمر على المؤمنين المحسنين، وتضييق الخناق على الظالمين المعتدين، ومنع الفساد والظلم، وإتاحة المجال للمصلحين، وحمايتهم ممن يكيد لهم أو يريد بهم سوءاً.
- إن من أهم نظريات قيام الحضارات ونهضة الأمم نظرية التحدي والاستجابة الإيجابية له، وهذا يتضح بجلاء في بناء السد الذي جاء استجابة لإغارة يأجوج ومأجوج.
- التمكين في الأرض بإرادة الله، يمتن به على عباده، لقوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، ومنَّة التمكين تستوجب من المؤمنين شكرها والسعي للحفاظ عليها، وألا يتواكلوا بالاعتماد على فضل الله فحسب.
- في القصة دليل على أهمية الأخذ بالأسباب، فقد أعطى الله ذا القرنين أسباب القوة والتمكين، فأتبعها بتسخيرها والاستفادة منها في تحقيق مراده.
- أسباب التمكين مادية ومعنوية، وأغلب الناس يهتمون بالمادية، فيجب أن لا نغفل المعنوية التي يحتاجها القائد لتكون الأسباب المادية فعالة، فلا بد من قيادة حكيمة عادلة قوية.

- **من الأسباب المادية لتمكين ذي القرنين:** استخدامه العلوم والمعارف الدنيوية المتاحة في عصره، فقد كان عالما بتقسيم الأرض وفجاجها وكان على علم بطبيعة المواد وعلى معرفة بخواصها.
- ومن الأسباب المادية: قيامه ببناء جيش قوي، قوامه رجال أشداء ومحاربون محترفون، ومدهم بأقوى الأسلحة، وهو ما يفسر خضوع المشرق والمغرب لحكمه.
- ومنها: تقوية الدفاعات: فإن من واجبات الحاكم الذي مكن الله له أن يحمي البيضة وأن يسعى لاستمرار التمكين، على أسس علميَّة وفق دراسة ميدانية صحيحة.
- **من الأسباب المعنوية للتمكين:** الإيمان بالله والتعلق به والدعوة إليه وإقامة شرعه: وهذا من أعظم أسباب التمكين.
- ومن الأسباب المعنوية: العدل: ويتجلى هذا في حكمه في أهل المغرب، إذ عامل كلا بما يستحق، فلم يظلم ولم يتعد.
- ومنها: استقامة ميزان التقويم: فالجزاء من جنس العمل، فالمحسن يثاب، والمسيء يعاقب، بغض النظر عن النسب والحسب والقيم الجاهلية، واختلال هذا من أسباب الهلاك وضياع التمكين.
- ومنها كذلك: الصبر لتحقيق المراد: فذو القرنين رجل طواف في الأرض ليقيم العدل والشرع ويفتح الممالك ويعبّد الخلق لربهم، فنجده صابرًا على المشاق وعلى بذل الوسع في التنظيم والتحرك والتأمين.
- ومنها: الشجاعة: كان ذو القرنين قويَّ القلب شجاعاً لم ترهبه

التبعات الضخمة والمسؤوليات العظيمة، والشجاعة الحقيقية لا تتمكن من القلب إلا إذا امتلأ بخوف الله ومراقبته ورجاء ما عنده.

- ومنها: الرحمة: لأنه لم يبادر إلى عقاب أهل المغرب ولكن دعاهم رغبة في نجاتهم، وأعان أهل المشرق ببناء سد يحميهم من يأجوج ومأجوج.
- ومن الأسباب المعنوية: مشاركة الحاكم رعيته في العمل: وليس المقصود أعمال القتال فهذا معهود في الحروب، لكن المقصود إشرافه على بناء السد، وهذا يعين القائد على التحقق من حسن العمل، وتجعله في تواصل مع رعيته.
- ومن ذلك: التوازن في الشخصية والاعتدال: فلم تعكر شجاعته على حكمته، ولم ينقص حزمه من رحمته، ولا حسمه من رفقه وعدالته.
- ومنها: التواضع: وظهر هذا بجلاء في رد ذي القرنين ما هو فيه من تمكين إلى الله ﷻ، وذلك قوله: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥].
- ومنها: كثرة الشكر: لأنه كان صاحب قلب حيّ موصول بالله تعالى، فلم تُسكره نشوة النصر، وحلاوة الغلبة بعدما أذل كبرياء المفسدين، بل نسب الفضل إلى ربه، وقال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨].
- ونصرة المظلوم: وهذا ما قام به لما استجار به القوم بين السدين.
- العفة والترفع عن مالٍ لا يحتاجه: فإن القوم المستضعفين لما شكوا

إليه فساد المفسدين، عرضوا عليه الخرج؛ فلم يأخذه لعدم احتياجه، لكنه طلب مساعدتهم في العمل والبناء.

- الواقعية: كان واقعيًّا في تدبير الأمور؛ فقد قدّر حجم الخطر، وما يحتاجه من علاج، فلم يجعل السور من الحجارة، بل جعله من الحديد المقوى بالقطر، ولذا باءت محاولات المفسدين بالإخفاق عندما حاولوا التغلب عليه.
- ومن هذه الأسباب: عدم الاحتجاج بالقدر على ترك العمل: كان ذو القرنين فيما يبدو على علمٍ بأخبار المستقبل مما ورد في الشرائع، فمع علمه بأن للردم أجلاً ينهدم فيه إلا أنه لم يتذرع بذلك للقعود والهوان؛ فبَنَى السد، وبذل فيه الجهد.
- إن وعد الله بالتمكين منصرف لمن آمن به ولم يصرف العبادة لغيره وعمل صالحا؛ وليس ذلك مقصوراً على العبادات أو الإحسان؛ بل يتعدى إلى الأخذ بأسباب التمكين دون أن يتعلق قلبه بها، بل يبقى متعلقاً بالله، وهذا عين التوكل.
- إذا أردنا التمكين فلا بد لنا كخطوة أولى من الرجوع إلى ديننا أفراداً وجماعات ودولاً، ثم لا بدَّ من أخذ الأسباب المشروعة لتحقيق نهضة شاملة تمتلك الأمة بها مفاتيح قوة العصر.
- إن ذا القرنين، كان عالِماً يمتلك العلم والقوّة المادية، وقويًّا غنيًّا، وعادلًا صالحًا، فاستحق تأييد الله وتمكينه، لأنه امتلك أسباب ذلك، فمكّنه الله وأيّده ونَصَرَه.
- إن قصة ذي القرنين تبعث على التفاؤل بمستقبل الأمة، فإنه لما

بلغ مغرب الشمس وجد قوماً محسنين وقوماً مسيئين، وعامل كلاً بما يستحق ووضع حداً للفساد.

- ولما بلغ بين السدين وجد الأمر أشد، فيأجوج ومأجوج فسادهم عظيم، فلم يواجههم، فاختار بذل وسعه لكف شرهم، وسعى لتقليل ضررهم ونجح في إيقافه حتى حين.
- مما يدعو للتفاؤل وجه الشبه بين أمتنا اليوم وبين من بنى السد، فبلاد المسلمين تعتبر متخلفة بالنسبة للعالم من الناحية المادية، وأصحاب السدَّيْن وُصفوا بأنهم ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾، ومع ذلك تمكنوا بفضل الله ثم بمساعدة ذي القرنين من دفع عدوهم، ومنع تعديه عليهم ونشر الفساد فيهم، وإقامة أعظم سد عُرف في التاريخ.
- الإسلام ينهانا أن نعوِّد الناس الكسل أو نعطيهم أجرًا بلا عمل؛ لقد قام ذو القرنين بمهمة الحاكم الممكَّن له، فقوَّى المستضعفين ونقلهم إلى ساحة الجد عاملين.
- كان فقه ذي القرنين في التعامل مع الشعوب المستضعفة هو السعي لنقلها من الجهل والتخلف والضعف إلى العلم والتقدم والقوة، وكان يدير العمل بروح الجماعة، ويشترك بنفسه مع غيره، لما في ذلك من تنشيط ورفع للمعنويات.
- لقد استطاع ذو القرنين أن يحول أمة كاملة من أمة تشتري سلامتها إلى أمة تصنعها وهذا يدل أن القيادة الحكيمة تستطيع أن تفجِّر طاقات المجتمع، وتوجِّهه لتحقيق الخير والغاية المنشودة.
- انتصر القوم الضعفاء على عدوّهم مع ضعفهم لأسبابٍ مهمةٍ

جداً، منها: أنهم سلّموا أمرهم لقيادةٍ حكيمةٍ قويةٍ واثقةٍ، تحكم بما أنزل الله.

- ومنها: أنهم فعلوا ما طُلِبَ منهم، وبذلوا ما عليهم من جهد، واتخذوا كل الأسباب الممكنة التي توافرت لهم.
- ومن ذلك: أنهم استمروا في البحث عن تحرير أنفسهم من سطوة عدوّهم، إلى أن وجدوا الحل الأمثل، من غير أن يقعوا في حبائل عدوٍ آخر، قد لا يقل عمن هربوا منه.
- في الطريق نحو التمكين لابد من ثقة بين القادة وباقي الأمة أو شريحة التغيير والبناء، فلابد للقائد أن يمنح الثقة لأفراد الأمة ويشعرهم بها ويذكي فيهم استغلال قدراتهم.
- **فتنة السلطان، هي الفتنة الرابعة التي تناولتها سورة الكهف،** وتتلخص في أن الناس مختلفون في رغباتهم؛ دينية ودنيوية، وهذا يؤدي إلى نوع تنافس، فإما أن يحسم بطريقة توافقية، وإما أن يحسم بنوع صدام يتسلط فيه الأقوى على الأضعف.
- النجاة من هذه الفتنة تكون بخضوع الحاكم والمحكوم للإرادة الشرعية، فيحكم الحاكم في الرعية بإرادة الله الشرعية، فلا اعتبار لأغلبية وأقلية، ولا اعتبار لأهواء الناس ورغباتهم، وإنما الاعتبار للحق والخير المطلق.
- عرضت سورة الكهف لثلاثة من أصحاب السلطات: فالأول- ملك كافر يحارب الدين ويصد عن سبيل الله؛ يدعو إلى عبادة غير الله وتحكيم غير شرع الله، وهو الذي فر منه الفتية.

- والثاني- ملك ظالم مغتصب لممتلكات الناس، ذكر في قصة الخضر مع موسى، وما أكثر الحكام الذين يتخوضون في أموال شعوبهم ومن يدخل تحت سلطانهم قديماً وحديثاً.
- والثالث- ملك عادل مقسط لم تفتنه السلطة مع سلطانه العظيم الذي بلغ مشرق الأرض ومغربها، وهو ذو القرنين، فكانت عاقبته نيل محبة الله ﷻ وتخليد ذكره في كتابه إلى يوم الدين.
- هذه النماذج الثلاثة تمثل النتائج الممكنة لفتنة السلطة، ولا يخرج أحد ممن ابتلي بها عنها، فمن تصرف فيها وفق شرع الله وأحسن القصد سلم، وإلا عاد السلطان والعزُّ وبالاً عليه في العاجل أو الآجل.
- **من سبل النجاة من فتنة السلطان:** الإيمان وتقوى الله: وهذا يبدو جلياً في قصة ذي القرنين، إذ دلت سيرته الحسنة على تمسكه بذلك فأثنى الله عليه وخلد ذكره دليلاً على نجاته من هذه الفتنة العظيمة.
- ومنها: عدم السعي لها، ومعرفة حقيقة السلطة وهي أنها تكليف لا تشريف، وتحديد الهدف: وهو أن يكون ملكاً صالحاً مصلحاً، وحسن اختيار البطانة والأعوان.
- ومن سبل النجاة كذلك: الرفق بالرعية، واستشعار خطر السلطة وأن الولاية مغرم ووظيفة شاقة.
- القيام بحقوق السلطة ومنها: الحكم بالشرع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدل، والتعفف، وعدم المحاباة.

- هذه بعض الأسباب التي تعين على النجاة من فتنة السلطان، ومما ينبغي التنبه له أن هذه الفتنة ليست مختصة بالولايات العامة، بل كل من ولي أمراً من أمور المسلمين له حظ منها بحسبه.
- إن تغييب الشرع عن الحكم من مظاهر فتنة السلطان، ومن ضيع حق الله في تحكيم شرعه لا يبعد أن يضيع حقوق العباد، فيسير فيهم بسيرة سيئة.
- فتنة السلطة عظيمة، لأنها باب للشهوات، وهي فتنة لغير السلاطين كذلك لو كانوا من أهل الديانة! ولاسبيل لتخلص العامة منها إلاّ باعتزالها تارة كما فعل أصحاب الكهف، أو بالتحايل، كما صنع الخضر لأصحاب السفينة.
- هذه الفتنة لا يسلم منها أحد، إلا من عصمه الله وأيده وسدده، لا فرق في ذلك بين العامة والخاصة، ولا فرق بين أهل الدين وغيرهم. ولئن كان تنكب طريق النجاة من أهل الفسق مرذولاً فإنه من أهل الإيمان أشد، ولعظم الأمر عدَّ النبي ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله (إمام عادل).

قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩)﴾ [الكهف]

- قد يمر على الإنسان نوع بلاء في الدنيا ولا يمر عليه غيره، ولكن أحداث القيامة ستمر على الكل، والمؤسف أن كثيراً منا لا يتمثل أنه مخاطب بها، فانتقلت الآيات لمشهد من مشاهد يوم القيامة.
- كثر ذكر هذا اليوم العظيم إجمالا وتفصيلا في القرآن، وتنوعت صوره ومشاهده، لما في التكرار والتنوع من أثر عظيم على القلب، إذ تأخذ به إلى ربه جل وعلا مخبتاً منيباً مجيباً داعيه.
- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة[١]، وهذه العلامات إذا بدأت تتابعت مسرعة إلى نفخ في الصور.

---

(١) تفسير البغوي ٥/ ٢٠٩ بتصرف يسير.

قال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف]

- حذرت بداية السورة كل عاقل ومتبصر وكل حاذق ومتفطن، كي لا يصل لهذه المرحلة ولا تعرض عليه جهنم؛ بل ليكون نزله الفردوس، فناسب أن تختم السورة بتفصيل ما لكل فريق.
- ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ عرضها: إبرازها وإظهارها، ليروا العذاب والنكال قبل دخولها، ليكون أبلغ في تعجيل الهم والحزن.
- ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يقدرون على سمع آيات الله الموصلة للإيمان، لبغضهم القرآن والرسول، فإن المبغض لا يستطيع أن يلقي سمعه لمن أبغضه، فقد كفروا بالله وجحدوا آياته، وكذبوا رسله، فاستحقوا جهنم[1].
- الصمم في آذان الكفار حال بينهم وبين قبول الحق وإفراد الله ﷻ بالعبادة والوحدانية، فعموا وصموا واتخذوا من دونه أولياء شتى فتاهوا في الضلال.

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٤٨٧ بتصرف يسير.

- الهمزة في قوله: ﴿أَفَحَسِبَ﴾ للإنكار والتوبيخ. وفي الآية حذف دل المقام عليه، قال بعضهم: تقدير المحذوف: أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء ولا أعاقبهم العقاب الشديد؟ كلا! بل سأعاقبهم[1].
- لا بد أن يبحث كل من كان له ولايةً في شأنه وأحواله هل ولايته مخالفة لولاية الله ﷻ، كانت لأمير أو وزير، أو زوجة أو أولاد، أو غير ذلك، فكل من اتخذ ولاية مخالفة لولاية الله سبحانه فهو داخل في الآية.
- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ هذه الآية في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود[2].
- هؤلاء القوم لا يتحصل لهم من الأعمال -التي ظنوا أنها منجاة لهم- شيء؛ لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص وإما المتابعة. فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل[3].
- حال الزنادقة وكثير من العلمانيين والليبراليين في بلادنا وغيرها من البلاد، أنهم يخططون ويقومون بالمشاريع لتغريب الأمة

---

(1) أضواء البيان ٣/ ٤١٣ بتصرف واختصار.

(2) تفسير ابن كثير ٥/ ٢٠٢ بتصرف واختصار.

(3) تفسير ابن كثير ٦/ ١٠٣ بتصرف واختصار.

وسلخها عن تراثها وثوابتها ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، لكفرهم وإنكارهم البعث، أو لجهلهم وضلالهم، أو لاتباعهم الشهوات والشبهات.

- لا يقيم الله سبحانه للكفار وزناً يوم القيامة، فهم في الحساب أذلاء حقراء، ومن بعده في نار جهنم مهانون منسيون، مع أنهم في الدنيا كانوا يختالون ويتطاولون على عباد الله المؤمنين.
- إن كل خسارة في الدنيا يمكن أن تعوض أو يزول ضررها قريبا، أما إن أتت القيامة وقد كتبه الله من الخاسرين فأنى تعوض؟
- العبرة ليست بالصور الزائلة وإنما بالمعاني الباقية، والموازين عند الله غير موازين الدنيا، فإذا كان الكافر لا وزن له عند الله، فقدر المؤمن عنده على النقيض والعبرة بالخواتيم.
- إن الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، وشمل هذا الوصف جميع الدين، عقائده وأعماله، أصوله وفروعه الظاهرة والباطنة، فهؤلاء -على اختلافهم في الإيمان والعمل الصالح- لهم جنات الفردوس[1].
- في الإتيان بـ﴿كَانَتْ﴾ في جزاء أهل الجنة لأن استحقاقهم الجنات مستقر من قبل، مهيأ لهم، وجيء بلام الاستحقاق تكريماً لهم بأنهم نالوا الجنة لإيمانهم وعملهم، وجمع الجنات إيماءً إلى سعة

---

(١) تفسير السعدي ص: ٤٨٨ بتصرف.

نعيمهم"[1].

- في الآية بيان أن إيمان القلب لا يكفي لدخول الجنة كما ادعت المرجئة، فلا بد من العمل الصالح، ومذهب أهل السنة أن الإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان.
- في قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ تنبيه على رغبتهم فيها، وحبهم لها، مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائمًا أنه يسأمه أو يمله كما في إقامات الدنيا، فأخبر أنهم مع هذا الخلود السرمدي، لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولاً ولا انتقالاً ولا بدلاً"[2].

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]

- **لطيفة:** كما بدأ الله سبحانه السورة بتشريف نبينا محمد ﷺ بعبوديته المستلزمة لبشريته وبتشريفه بالوحي، أنهى السورة بمثله ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾، فمن تأمل ختام السورة وجدها عادت لتأكيد ما افتتحت به.

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ٤٩ بتصرف واختصار.

(٢) تفسير ابن كثير ٥/ ٢٠٤ بتصرف يسير.

- ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي: موافق لشرع الله، من واجب ومستحب، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ أي: لا يرائي بعمله بل يعمله خالصاً لوجهه، فمن جمع بين الإخلاص والمتابعة ينال ما يرجو ويطلب[1].
- **فائدة:** تبين الآية أن النبي ﷺ يشترك مع بني آدم في أصل البشرية، ومن هذه الجهة لا فرق بينه وبينهم، ومع الاشتراك في البشرية إلا أنه فضل بالنبوة والرسالة، المنحة الإلهية التي تنال بمحض اصطفاء الله ﷻ.
- في التركيز على التوحيد في آخر كلمة من السورة، لفت إلى أهميته، فقد يعمل الإنسان صالحاً لكنه يخلطه بالشرك وبإرادة غير الله فيجعله الله كأن لم يكن.
- في اقتران التوحيد بالعمل الصالح لفت إلى الحرص على صلاح العمل، فقد يكون المرء موحداً ويأتي بأعمال صالحة لكنه يخلطها بسيئة قد تحبط عمله.

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٤٨٩ بتصرف واختصار.

الخاتمة

وفيها سرد لمعالم رئيسة للخروج من الفتن
ذكرت في مواضع متفرقة من السورة صراحاً أو تلميحاً

- جماع الخير كما أرشدت السورة التمسك بالكتاب القيم الذي لا عوج فيه القرآن، فمتى اعتصم العبد به أمن الفتنة.
- تذكر بأس الله وعذابه: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف:٢]، ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩]، وغيرها من الآيات ولاسيما أواخر السورة.
- تذكر ثواب الآخرة وما أعده الله للمؤمنين: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾.
- النأي عن الخوض في الدين بغير علم: ﴿مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾.
- الإيمان الصادق سبب للهداية ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣].
- سؤال الهداية والثبات لمن بيده هداية القلوب وإضلالها: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾.
- المجاهرة بالبراءة من الكفر من أسباب تثبيت الله للعبد على الحق، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.
- الابتعاد عن مواجهة الظلمة في حال عدم القدرة على تغيير المنكر

﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف:١٦]، ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

- الفرار من الفتن واعتزالها والبعد عن التصدر لها، ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦].
- صبر النفس مع الصحبة القانتة لربها تريد وجهه، لا تخطيهم لغيرهم: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [الكهف:٢٨].
- ذكر الله، والبُعد عن الغفلة، وعدم طاعة الغافلين عن ذكره: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾، وأضاع حياته ووقته في غير طاعة الله.
- التفكر في حقيقة البشرية ومبدأ أمرها ومصيرها ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾، ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٤٥].
- شكر النعم ونسبتها لمسديها جل وعلا ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف: ٣٩].
- تذكر المعاد وأهوال يوم البعث والنشور وما وراءه ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٧].
- اتخاذ الشيطان عدواً والعلم بأنه عدو لنا ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].
- تدبر القرآن وما صرفه الله من الأمثال فيه ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ﴾ [الكهف: ٥٤].

- ترك المراء والجدال وقبول الحق والإذعان إليه متى بدا: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦].
- الإقبال على آيات الله والحذر من الإعراض عنها عند التذكير بها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧].
- الحذر من الظلم بأنواعه وأعظمها الشرك ومحاربة تفشيه في المجتمع: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾.
- التواضع للعلم وطلبه ولو كلف ذلك المرء عنتاً، فقد حرص عليه أكمل البشر في زمنه، المسدد بالوحي، موسى عليه السلام وسافر في طلبه، ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].
- التَّروي في الأمور التي لم نحط بها من جهة واقعها أو أدلتها.
- الصلاح لأن نفعه يعود على الذرية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].
- التعامل مع الخليقة بالشرع لا الأهواء كما في قصة ذي القرنين.
- القيام بواجبات الولاية على وجهها، لأنها تقوم على إصلاح شؤون المولى عليهم وخدمتهم، مع إقامة دين الله وحكمه.
- العبادة والعمل على بصيرة لا بالأهواء، فقد أخبر الله عن أناس ضل سعيهم في الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.
- تحقيق التوحيد والنأي عن الشرك وأسبابه.

فهذه جملة أسباب معينة على الثبات وعاصمة بإذن الله من الفتن، أسأل الله أن يعصمني وعامة المسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن، و ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾، وصلى الله وسلم على النبي المصطفى والرسول المجتبى، وعلى آله وصحبه الذين ارتضى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

❊ ❊ ❊ ❊

❊ ❊ ❊

❊

الفهرس

فهرس الآيات

الآيــــة	رقم الصفحة
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)﴾	٣٣
﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)﴾	٣٩
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)﴾	
...﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦)﴾	٤٢
﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ	

الآيـــة	رقم الصفحة
ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾	٥٣
﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾	٥٦
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾	٦٠
﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾	٦١
﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾	

الآيــة	رقم الصفحة
وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) ﴾	٦١
﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾	٦٣
﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) ﴾	٦٦
﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) ﴾	٧٦
﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا	

الآيـــة	رقم الصفحة
﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ ﴾	٧٩
﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ ﴾	٨١
﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ ﴾	٨٤
﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾	٨٨
﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن	

رقم الصفحة	الآيـــة
٩٢	تَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾
٩٤	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾
٩٨	﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾
٩٩	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾
	﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟

الآيـــة	رقم الصفحة
إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾	١٠١
﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾	١٠٣
﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾	١٠٤
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴿٦٠﴾ ﴾.. ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ ﴿٨٢﴾ ﴾	١٠٤
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴿٨٣﴾ ﴾ ... ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾	١٢٠
﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾	١٣٥
﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ ... ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾	١٣٦
﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾	١٣٩

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	رقم الصفحة
مقدمة	٥
سورة الكهف كاملة	٧
مقدمات بين يدي السورة	١٧
أولاً- اسمها: ومناسبة تسميتها	١٧
ثانياً- لمحة عن الكهوف	١٧
ثالثاً- العلاقةبين الكهوف وبين اسم السورة	١٨
رابعاً- وقت نزولها	١٩
خامساً- سبب نزولها	٢٠
سادساً- عدد آياتها	٢٠
سابعاً- من مزاياها	٢١
ثامناً- فضائلها	٢٢
فوائد متعلقة بفضائل السورة	٢٣
الفائدة الأولى- في الآيات التي تقرأ على الدجال	٢٣
الفائدة الثانية- الأسباب الداعية لكون السورة عاصمة من الدجال	٢٣
الفائدة الثالثة- وقت قراءة السورة	٢٤
تاسعاً- أسرار ولطائف	٢٥
أ- في فواتح السورة	٢٥

الموضـــوع	رقم الصفحة
ب- في موضع السورة من المصحف	٢٦
ج- في المناسبات	٢٧
د- في خواتم السورة	٢٩
عاشراً- أغراض السورة	٣٠
الحادي عشر- أسلوب السورة	٣١
التفسير	٣٣
التمهيد للشروع في موضوعات السورة الرئيسة	٣٩
خواطر تربوية نفسية	٤١
لطائف قرآنية في استخدام لفظ الاستطاعة	١٢٤
الخاتمة	١٤١
فهرس الآيات	١٤٥
فهرس الموضوعات	١٥١

* * * * * *

* * * *

* * *

*